1ome, année No 932
LeCaire 14 — 5 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٧٠ — ١٤ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

رحـــلات عزام

الرحلة سبيل من سبل المعرفة . وفى الأمثال : من يمش ير كثيرا ، ومن يعش ير أكثر . وفى الزمن القديم كانت الرحلة وحدها متصَل الفكر بالفكر، وملتقى المتعلم بالعلم . ولا يزال لها فى الزمن الحديث على سرعة الاتصال بين أجناس الناس فى بقاع الأرض، بالإذاعة والصحافة والنشر، أثر ظاهر فى إكتساب العلوم وتقدم الثقافة . وهى فى تاريخ الإسلام بوجه أعم، وفى تاريخ الأدب بوجه أخص ، عظيمة الخطر فى جمع اللغة ورواية الحديث ، قوية الأثر فى نشر الأدب وتوسيع الفقه . وكانت الرحلات الذاهبة الآيبة من العراق إلى مصر ، ومن مصر إلى الأندلس ، ومن هذه الأقطار جميعا إلى الحجاز ، موردا ثرًّا لعلوم الدين وفنون الأدب ، جنينا من ثماره طائفة كثيرة من عيون الكتب فى وصف البلاد ، وطبائع الشعوب ، وتراجم الرجال ، وغرائب العادات ، وعجائب الكائنات ، وطرائف الملح .

على أن الله لم يؤت الرحالين أجمعين مثل ما آتى البيرونى ، والبغدادى ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وأضرابهم ، من قوة الملاحظة ، وشهوة التطلع ، وحب التحدث ، ورغبة الإفادة . ولم يؤت الله هؤلاء جميعا ما آتاه صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، من صحة العلم ، وسلامة الحكم ، ودقة الفهم ، وخفة الروح ، وعذوبة الفكاهة ، ولطف النادرة ، وجمال الأسلوب

رحل الأستاذ إلى أكثر البلاد العربية والإسلامية فى عهدين مختلفين : عهد غلب فيه التأثر الأول والشعور البادر والنظر العجلان ، وقد دوّنته (الرحلات الأولى) ؛ وعهد غلب فيه الإدراك الكامل والاستيعاب الشامل والتحقيق الدقيق ، وقد ضمته (الرحلات الثانية)، وهى التى تقدمها اليوم إلى القارئ بهذه الكلمة الوجيزة . وغاية الرحالة فى العهدين ومن الرحلتين هى التعريف بأمصار العروبة وبلاد الإسلام ، ليكون التعريف سبيلا إلى التعارف ، وعونا على التآلف ، وتمهيدا للوحدة

وهذه الرحلات التى رحلها البحاثة الوصافة عزام إلى فلسطين ، ثم إلى الشام ، ثم إلى الهند ، ثم إلى الحجاز ونجد ، صور من البيان ، وطرف من الأدب ، ودقائق من العلم ، ورقائق من الفن ، ينقلك سحرها بحواسك وخيالك إلى تلك الأماكن الموصوفة ، فتشاهد المناظر ، وترى الأشياء ، وتسمع الاشخاص، كأنك رحلت وحللت، وصاحبت فى التنقل، وساهمت فى المآدب ، وشاركت فى الحديث . وإن الاشعاع الذى ينبثق من روح الكاتب على سطور الكتاب ليهدى روحك إلى روحه ، ويدل شعورك على شعوره ، فتتحد أنت وهو فى زهو عاض موموق كله ذكريات مجد وبطولة ؛ وتتجه أنت وهو إلى مستقبل مرموق كله آمال بعث ونهضة .

فما أجدر كل عربى أن يحج فى هذا الكتاب الأماكن التى أشرق منها نور الله ، والمواطن التى استقرت بها خلافة الأرض ، والمعاهد التى زكت فيها ثقافة الإنسان ! إنها مهبط دينه ومصعد دنياه ، وإنها متجه خاطره ومنتجع هواه !

احمد حسن الزيات

٤ ـ في الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

درجات الصحابة في العلم والفهم :

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم طرازاً واحدا فى الفقه والعلم، ولا نمطا متشابها فى الإدراك والفهم ، وإنما كانوا فى ذلك على طبقات متفاوتة ودرجات متباينة بعضهم أعلم من بعض، شأن الناس جميعا فى هذه الحياة على مر الدهور وتوالى العصور ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال ابن خلدون فى مقدمته « إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، والعارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته ، بما تلقوه من النبى (ص) أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك (القراء) ، أى الذين يقرأون القرآن ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ ، وبقى الأمر كذلك صدر الملة » (١)

وقال ابن سعد فى طبقاته عن أبى خيثمة عن أبيه قال : كان الذين يفتون على عهد رسول الله (ص) ثلاثة نفر من المهاجرين ، وثلاثة من الأنصار ، عمر وعثمان وعلى ، وأبى بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين والأنصار : دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد ابن ثابت . وكل هؤلاء كان يفتى فى خلافة أبى بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ولى عمر فكان يدعو هؤلاء النفر

(١) ص ٣٤٦

وعن مسلم عن مسروق قال : شاممت أصحاب رسول الله (ص) فوجدت علمهم انتهى إلى ستة ، إلى عمر وعلى وعبد الله ومعاذ (٢) وأبى الدرداء وزيد بن ثابت ، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى على وعبد الله (٣)

وعن عامر قال : كان علماء هذه الأمة بعد نبيها (ص) ستة : عمر وعبد الله وزيد بن ثابت ، فإذا قال عمر قولا ، وقال هذان قولا ، كان قولهما لقوله تبعا . وعلى وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى ، فإذا قال على قولا وقال هذان قولا كان قولهما لقوله تبعا

وعن عامر قال : قضاة هذه الأمة أربعة ، عمر وعلى وزيد وأبو موسى الأشعرى، ودهاة هذه الأمة أربعة : عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة وزياد (٤)

وذكر ابن القيم فى أعلام الموقعين عن مسروق قال : « جالست أصحاب محمد (صلوات الله عليه) فكانوا كالإخاذ ، الإخاذة تروى الراكب ، والإخاذة تروى الراكبين ، والإخاذة تروى العشرة ، والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم ، وأن عبد الله (ابن مسعود) فى تلك الإخاذة » (٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية (٦) قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب (٧) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا (٨) وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله.. رواه الشيخان وغيرهما

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وروايتهم عن التابعين

ليس كل ما جاء من الأحاديث عن الصحابة مما رووه عن

(٢) رواية ابن القيم فى أعلام الموقعين (وأبى بن كعب) بدل معاذ
(٣) هو عبد الله بن مسعود
(٤) ص ١٦٦ — ١٦٨ ج ٤ (٥) ص ١٣ ج ١ (٦) فى رواية (ثغبة) وفى رواية (بقعة) وفى رواية (طائفة طيبة) وفى رواية (بقية)
(٧) فى رواية (أخاذات) وفى رواية (أجاذب) وفى رواية (أحارب) وفى رواية (أجادر) (٨) فى رواية (ورعوا) وفى رواية (ودعوا)

رسول الله صلوات الله عليه ودون فى كتب الحديث ؛ قد سمعوه بآذانهم من النبى مشافهة ، ولا أخذوه عنه بالتلقى ، وإنما كان يروى بعضهم عن بعض ، فمن لم يسمع من الرسول كان يأخذ ممن سمع ، وذلك بأن مجالس الرسول كانت متعددة ، وتقع فى أزمنة وأمكنة مختلفة ، فما يحضره منها بعض الصحابة قد لا يحضره البعض الآخر ، وإنك لتجد ذلك باديا فيما رواه بعض الصحابة ، وبخاصة أولئكم الذين كانوا أقلهم صحبة لرسول الله وأ كثرهم رواية عنه ، كابن عباس وأبى هريرة وغيرهما

فقد ذكر الآمدى فى الأحكام أن ابن عباس لم يسمع من النبى إلا أربعة أحاديث . وقال ابن القيم فى الوابل الصيب : إن ما سمعه ابن عباس من النبى لم يبلغ المشرين حديثا ، وعن ابن معين والقطان وأبى داود صاحب السنن أنه روى عن النبى تسعة أحاديث

وأبو هريرة أسلم فى العام السابع من الهجرة ، فهو بذلك لم يصاحب النبى إلا ثلاث سنين ، وهو زمن قليل جدا ليس من المعقول أن يكون قد سمع فيه من النبى كل هذه الآلاف من الأحاديث التى رواها (٩)

قال البراء بن عازب (١٠) : « ما كل ما نحدثكموه قد سمعناه من رسول الله ! ولكن حدثنا أصحابنا وكانت تشغلنا رعية الإبل » ورواية البيهقى : ليس كلنا كان يسمع حديث النبى . . وفيه والناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد عن الغائب . أى بغير أن يذكر من روى عنه

وفى كلام ابن الصلاح وغيره فى رواية الأكابر عن الأصاغر أن ابن عباس والعبادلة الثلاثة وأبا هريرة وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار الذى أسلم فى عهد عمر

على أن الصحابة فى روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا يذكرون عندما يتحدثون — كما ذكرنا — أن أحاديثهم قد جاءتهم عن سبيل الرواية عن غيرهم ، ذلك بأنهم كانوا يروون ما يروون فى المناسبات التى تستدعى ذلك مهما طال الزمن من غير عزو لمن سمعوا منهم ثقة بهم وقد جرت الرواية على ذلك إلى أن وقعت الفتنة ، وقد قال ابن سيرين فى ذلك : كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، ولما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم

وقال الآمدى

« وقد قيل إن ابن عباس لم يسمع من رسول الله (ص) سوى أربعة أحاديث لصغر سنه . ولما روى عن النبى (ص) « إنما الربا فى النسيئة . وأن النبى (ص) لم يزل يلبى حتى رمى حجر العقبة

قال فى الخبر الأول لما روجع فيه : أخبرنى به أسامة بن زيد . وفى الخبر الثانى : أخبرنى به أخى الفضل بن عباس » وأيضا ما روى عن ابن عمر عن النبى (ص) أنه قال « من صلى على جنازة فله قراط . وأسنده بعد ذلك إلى أبى هريرة . وأيضا ما روى أبو هريرة عن النبى (ص) أنه قال : من أصبح جنبا فى رمضان فلا صوم له . وقال ما أنا قلته ورب الكعبة ولكن محمد قاله (١١) فلما روجع فيه ، قال : حدثنى به الفضل بن عباس

وروى عن البراء بن عازب أنه قال : ما كل ما نحدثكم به سمعناه عن رسول الله (ص) ولكن سمعنا بعضه وحدثنا أصحابنا ببعضه

وأما التابعون فقد كان من عادتهم إرسال (١٢) الأخبار ، ويدل على ذلك ما روى عن الأعمش أنه قال : قلت لإبراهيم النخعى : إذا حدثتنى فأسند ، فقال : إذا قلت لك حدثنى فلان عن عبد الله فهو الذى حدثنى ، وإذا قلت لك حدثنى عبد الله فقد حدثنى جماعة عنه . . ولم يزل ذلك مشهورا فيما بين الصحابة والتابعين من غير نكير فكان إجماعا » (١٣)

ولم تقف رواية الصحابة بعضهم عن بعض بل رووا كذلك عن التابعين ، وروى التابعون عن تابعى التابعين

ومن رواية التابعين عن — تابعى التابعين — رواية الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذهما

---

(٩) ص ١٣ ج ٢ الأحكام لابن حزم وكلمة البراء هذه قد جاءت برواية أخرى فى الأحكام للآمدى جئنا بها فى هذه الكلمة (١٠) ذكروا أن جملة ما رواه أبو هريرة ٣٧٤ ٥٣٦٠٤٠

(١١) لهذا الحديث قصة طريفة سنوردها فى تاريخ أبى هريرة إن شاء الله

(١٢) الرواية المرسلة لحديث هى التى لم يذكر فيها الصحابى الذى رفعه إلى النبى (ص) (١٣) ص ١٧٨ — ١٨٠ ج ٢

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيدة البحار ، وزعيمة الدول الديمقراطية ، وأولى الدول الصناعية ، وأكبر الدول الاستعمارية ، ودينامو السياسة الدولية. بهذه الكلمات وصفنا بريطانيا في مقالنا السابق

ولعل القارئ الكريم يسألني كيف استطاعت بريطانيا أن تكون لنفسها هذه المكانة الممتازة ، وأنا أجيبه بأن ذلك يرجع أولا وقبل كل شيء إلى الخلق البريطاني

الخلق البريطاني

يمتاز الشعب البريطاني بمتانة أخلاقه ، وبثباته واستقراره ، ويحب أفراده لوطنهم حبا لامزيد عليه ، ومسارعتهم للتضحية في سبيله ؛ ولعل ذلك راجع إلى تأثير المناخ ، فإن بريطانيا تمتاز بأن شتاءها بارد نوعا ، تكتنفه الغيوم ويغشاه السحاب ، وقد دفع ذلك الشعب إلى النشاط لمكافحته والتغلب على متاعبه ، وهذا بدوره قد عود الشعب على الكفاح والجلاد والجهاد

ولا تبدو حقيقة الخلق البريطاني واضحة جلية إلا في أثناء الأزمات التي تتعرض لها بريطانيا ، فإن الشعب يتكتل في أثناء تلك الأزمات ، ويقف صفا واحدا للدفاع عن الوطن وعن تراثه. وقد كانت أخطر الأزمات التي تعرضت لها بريطانيا كثيرة ، ولكن أهمها كانت أربعا :

أما الأزمة الأولى فقد كانت تلك التي تعرضت لها أثناء صراعها مع أسبانيا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، وقد كان صراعا عنيفا بين دولتين : إحداهما تتزعم الدول الكاثوليكية وهي إسبانيا ، والثانية تتزعم الدول البروتستانتية وهي إنجلترا . ويقول أحد المؤرخين مارجنه : « ومن حسن الحظ أنه عند اقتراب الأزمة الكبيرة كان الخلق البريطاني يكتسب أخص مميزاته وهي الصلابة وشدة المقاومة » . وقد عرف البريطانيون قوتهم فرحبوا بالنزال المقبل ، وفعلا أرسل فيليب الثاني ملك أسبانيا اسطوله المعروف بالأرمادا ؛ والمؤلف من ١٣٢ سفينة « وفي وجه الخطر المقبل تنوسيت الخلافات القديمة وحل محلها نشاط قوي أدى إلى وحدة جميع الأحزاب » ووقف الشعب الإنجليزي برياسة مليكته إليصابات في وجه الخطر الإسباني ، وكون أسطولا من ١٩٧ سفينة ، واستطاع أن يحطم الأرمادا ، وبذلك نجت بريطانيا من الخطر المحدق بها ، وبدأت سيادتها البحرية

وأما الأزمة الثانية فكانت تلك التي تعرضت لها بريطانيا في أثناء صراعها مع فرنسا في عصر الثورة ونابليون (١٧٩٣ – ١٨١٤) وقد انتهى الأمر بانتصارها وسقوط نابليون

وكانت الأزمة الثالثة التي انتابتها هي الحروب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ ونضالها مع ألمانيا ، وقد خرجت منها ظافرة

وأما الأزمة الأخيرة فكانت الحرب العالمية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ وقد انتصرت فيها على ألمانيا وحطمت هتلر طاغية القرن العشرين

ولعلنا نذكر تشرشل رئيس وزرائها ١٩٤٢ بعد سقوط فرنسا تحت أقدام الألمان ، ولعلنا نذكر كلماته التي واجه بها الشعب في ذلك الوقت الحرج : « إني أقدم لكم الدم والدموع » فهو لم يخدع الشعب ولم ينافق ، بل تكلم في صراحة وعرض الموقف على حقيقته ، فهو يعلم أن خداع الشعب ليس من المصلحة في شيء ، وأنه إذ يصارح الشعب بحقيقة الموقف إنما يدفعه إلى الجلاد والكفاح ، وهو واثق من أن الشعب سيقبل على التضحية في سبيل الوطن . وقد كان إذ ثبتت بريطانيا وانتصرت

ومن (الظريف للفطنى) كما قال السيوطي أن يروى الصحابي عن تابعي عن صحابي آخر حديثا

ومن ذلك حديث السائب بن يزيد الصحابي عن عبد الرحمن ابن عبد القاري التابعي عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه في الليل » رواه مسلم في صحيحه ومن ذلك حديث لا يستوي القاعدون

وقد جمع الحافظ العراقي من ذلك عشرين حديثا

المنصورة — السلام سلة — محمود أبو رية

وتروعك الأمثلة الكثيرة التي تقدم لك عن مدى تضحية الإنجليز في سبيل وطنهم ، فالتجنيد هناك ليس إجباريا ولكن القوم يسارعون إلى التطوع من تلقاء أنفسهم خدمة لوطنهم ، وقد قرأت ذات مرة أن أربعة إخوة كانوا يقيمون معا أثناء الحرب العالمية الأولى ، فلما قامت الحرب حاول كل منهم أن يقنع الآخرين بأن يتركوا له فرصة التطوع ، وأن يبقوا هم آمنين في دارهم ، وتظاهروا بالاقتناع ، فلما كان الغد أقبل كل منهم يسعى إلى مكتب التطوع لتسجيل اسمه ، وهناك التقى الإخوة الأربعة ورفض كل منهم أن ينزل عن شرف المساهمة في الدفاع عن الوطن . وتطوعوا جميعا !!

ويذكرني هذا بما كان من أمر الخنساء ومن أمر بنيها الذين استشهدوا في فتح فارس ، وجاء رسول الجيش إلى المدينة ليبلغ الخليفة عمر نبأ انتصار المسلمين ؛ ولقيته الخنساء فسألته عن الأمر فأجابها : « لقد قتل بنوك » . فقالت له « ما سألتك عن أبنائي ولكني أسألك عما كان من أمر الجيش » فأجابها : « لقد انتصرنا » فرفعت يديها إلى السماء قائلة « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » . لكني أوازن بين ما كان وبين ما هو كائن فأرى فرقا شاسعا . فهل يعود إلينا الإيمان ؟؟

وقد كنت على سفر سنة ١٩٤٢ وكان معي أحد أطفالي وجلس معنا أحد أفراد القوات الحربية البريطانية ؛ فوجدته يحاول إخفاء شعور قوي جارف يتملكه ، ثم رأيته يداعب طفلي فبدأت أحدثه: « لست أدري أيها الصديق ما سر شغفك بطفلي هذا » فأجابني « إن لي طفلا في مثل سنه » فقلت له « وأين هو ؟ » قال : « في لندن » قلت « ومع من يقيم » قال « مع والدته » فقلت « وأين كنت تعمل قبل خدمتك بالجيش » قال « كنت موظفا في لندن » قلت له « فمن الذي ينفق الآن على زوجك وطفلك » قال « إن زوجي قد شغلت مركزي وإن الحكومة تدفع لها نفس المرتب الذي كنت أتقاضاه » قلت له « وكيف تنفق أنت » قال « إن الحكومة تدفع لي مرتبا بوصفي أحد رجالها المحاربين » قلت له « ماذا قتلت ؟ » قال « تدفع الدولة معاشا لعائلتي يكفل لها الحياة الكريمة » . وأنا أسوق هذه القصة لأثبت بها مدى تعاون الشعب في خدمة الدولة ، ومدى رعاية الدولة لأفراد الشعب

ولعل مما يدل على حب الشعب البريطاني للاستقرار دراسة الأحزاب السياسية في إنجلترا ، إذ أننا نجد في بريطانيا حزبين كبيرين هما حزب العمال ، وحزب المحافظين ، وحزبا ثالثا لا خطر له هو حزب الأحرار . ولا تختلف الأحزاب السياسية في بريطانيا في سياستها الخارجية ، فالسياسة الخارجية مرسومة موضوعة ، ولكنهم يختلفون في السياسة الداخلية ، فحزب العمال يؤمن بأن « الغرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » ويؤمن بأن من حق العمال على الدولة أن يعيشوا كراما وأما حزب المحافظين فهو يتكون من الرأسماليين وكبار الملاك ، وهم حريصون أشد الحرص على تدعيم كيان الإمبراطورية البريطانية

استقالة :

ان الشعب البريطاني يمتاز بتقديسه لحريته ، وهو لا يقبل أن تقيد أبدا ، وقد يختلف أفراده رأيا ولكنهم يجتمعون في النهاية على هدف واحد هو خدمة بريطانيا

ولعل من أروع الأمثلة التي أستطيع أن أقدمها للقارئ الكريم مما يدل على مدى حب الإنجليزي لحرية رأيه وحرصه على تحقيق المبادئ التي يؤمن بها ؛ ما كان من أمر استقالة مستر بيفان وزير العمل منذ أيام . فهذا الرجل كان وزيرا في وزارة العمال منذ سنة ١٩٤٥ – وقد كان في بدء حياته أحد عمال المناجم وكذلك كان أبوه – يتمتع بجاه المنصب وسطوته ، ولكننا نراه يترك هذا المنصب الخطير من تلقاء نفسه حين يرى أنه لا يستطيع تحقيق المبادئ التي يعتنقها ، وهي العمل على أن تيسر الدولة للعمال الحياة الكريمة السعيدة . ويقول في كتاب استقالته ما ترجمته « إنه يستقيل لأنه لا يوافق على مشروع الميزانية الجديدة إذ أنه مشروع خاطئ إذ يرصد أموالا طائلة لبرنامج التسلح مما يرهق الميزانية . ولأنه يتخذ من رفع الأسعار وسيلة من وسائل الحد من الاستهلاك المحلي ، ولأنه بدء لتحطيم الخدمات الاجتماعية التي كان يفخر بها حزب العمال ؛ إذ قررت زيادة الضرائب على الأسنان الصناعية والنظارات »

ويقول « إنه ليس مما يشرفني أن أقرن اسمي بتنفيذ سياسة

المعرفة الصوفية

أداتها ومنهجها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين

للأستاذ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

(١) المقامات والأحوال طريق موصل إلى المعرفة
(٢) علم الظاهر وعلم الباطن
(٣) أداة المعرفة عند الصوفية
(٤) منهج الكشف عند الصوفية وطبيعة هذا المنهج
(٥) موضوع المعرفة الصوفية
(٦) غاية التحقق بالمعرفة عند الصوفية

١ — اتفق الصوفية على أن غاية المتصوف السالك إلى الله أن يتحقق بمعرفة الله سبحانه وتعالى معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها

ويأخذ المريد نفسه في أول عهده بالطريق بالمجاهدة النفسية فيتخلى عن الأخلاق الرديئة ويحاسب نفسه ويراقبها حتى تنقطع عنها الهواجس فتصبح طوع إرادته، ويتخلص من عوائق البدن وسطوة الشهوات التي من شأنها أن تحجب عنه الحقيقة العليا التي يصبو إليها

هـذا وتنشأ عن المجاهدة والرياضة الروحية ، حالات نفسية معينة تعرف عند الصوفية بالأحوال والمقامات ، ولا يزال الصوفي يترق (١) في أحواله ومقاماته من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام، حتى يصل إلى معرفة الله تعالى معرفة يقينية لا مدخل للحواس أو العقل فيها ، فيستمتع بمطالعة وجه الله سبحانه وتعالى ومشاهدة جماله وجلاله جلت قدرته

والأحوال والمقامات هي طريق موصل إلى المعرفة . إلا أن الصوفية اختلفوا في عدد هذه الأحوال والمقامات وترتيبها ، فما يراه البعض حالا يراه البعض الآخر مقاما ، وفي حقيقة الأمر كل يصف لنا منازل سيره وحال سلوكه . وعلى الرغم من هـذا

(١) في اصطلاحات الشيخ محيي الدين بن عربي أن الترقي هو التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف

لا يقرها ضميري ولا يرضاها عقلي ، وإني آسف إذ أشعر أني مضطر إلى اتخاذ هذه الخطوة بعد هذه السنين المديدة التي تعاونا فيها في حكومة واحدة قامت بكثير من الخدمات لقضية العمال ولتقدم الجنس البشري ».

ويقول « إن الوظائف العامة يجب أن يعهد بها إلى من يؤمنون بأنهم قادرون على النهوض بها » ويختتم استقالته متمنيا لرئيس الوزراء الصحة والعافية

ويقبل رئيس الوزراء الاستقالة آسفا وشاكرا له ما قدم من خدمات وعنايات . ومع هذا فلم يفصل حزب العمال المستر بيفان من عضويته، وكذلك أعلن بيفان أنه لن يهاجم الحكومة لما يرجوه على يدها من خير للعمال. وهكذا تكون الشجاعة وحرية الرأي

ويحرص أفراد الشعب البريطاني على أداء الواجب المطلوب منهم حرصا تاما، ويهتمون بالرياضة والألعاب الرياضية اهتماما كبيرا. ومن كلمات ولنجتون المأثورة قوله « لقد كسبنا معركة واترلو فوق أرض ملاعبنا » . ويمتاز البريطانيون بصبرهم وبرودهم وسعة حيلتهم ودهائهم ، ولعل موقف إنجلترا من روسيـــا في الحرب الأخيرة يظهر لنا ذلك واضحا جليا

في سنة ١٩٣٩ أرسلت إنجلترا وفرنسا بعثة لمفاوضة روسيا لعقد اتفاق لإتمام حركة تطويق ألمانيا، وبدأت المفاوضات ولكن ألمانيا أرسلت بعثة أيضا لمفاوضة روسيا ، فتوقفت مفاوضات روسيا مع مندوبي فرنسا وإنجلترا وبقوا بدون عمل ، وانتهت المفاوضات بين روسيا وألمانيا بعقد ميثاق عدم اعتداء بين الدولتين. وبعد ذلك طرد المندوبون الإنجليز والفرنسيون، ولكن إنجلترا لم تغضب ولاذت بالصمت وتذرعت بالصبر . وقد كان من نتائج ميثاق عدم الاعتداء الألماني الروسي قيام الحرب الأخيرة ؛ فإن ألمانيا وقد اطمأنت إلى سلامة حدودها الشرقية أشعلت نار الحرب

وتقدم الألمان يفتحون البلاد غربا وشمالا وجنوبا حتى احتلوا شبه جزيرة البلقان ، وبدأت روسيا تسعى لتحقيق حلمها القديم وهو الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط ، فطالبت ألمانيا بأن تعطيها ميناء عليه ، ولكن ألمانيا رفضت واضطرت إلى إعلان الحرب على روسيا . وسارعت إنجلترا إلى روسيا تمد لها يد المساعدة، وبواسطة الدم الروسي والعتاد الأمريكي كسبت بريطانيا الحرب العالمية الثانية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

الاختلاف فيما بينهم فإنهم يقررون أن الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب ، وأن الحال معنى يرد على القلب من غير اكتساب ، بل عن طريق الجود ، وأن المقام يحصل ببذل المجهود . أضف إلى ذلك أن صاحب الحال مترق عن حاله ، وصاحب المقام ممكن فى مقامه ، وأن الحال سمى حالا لتحوله ، والمقام مقاما لثبوته

ومن أمثلة الأحوال التى تحل بقلب الصوفى ، الطرب والحزن والبسط والقبض والانزعاج والهيبة ، ومن أمثلة المقامات التى تصير كسبا له: التوبة والورع والزهد والصبر والشكر والمعرفة والمحبة (٢)

٢ — والكلام فيما يعرض للنفس من هواجس وخواطر ، وبيان طرائق المجاهدة وما يعرض للقلوب من أحوال وما تكتسبه من مقامات ، كل أولئك مباحث ذوقية سماها المتصوفة بعلم الباطن أو علم الوراثة أو الحقيقة أو الدراية، وفرقوا بينها وبين علم الظاهر أو علم النقل أو علم الرواية

يقول السراج الطوسى فى اللمع عن علم الباطن وعلم الظاهر والفرق بينهما « إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ... والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة ، وهى العبادات والأحكام مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها فهذا كله على الجوارح الظاهرة ... وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب، وهى المقامات والأحوال مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والمحبة والرضا والذكر والشكر ... فإذا قلنا علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التى هى على الجارحة الباطنة وهى القلب، كما أنا إذا قلنا علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التى هى على الجوارح الظاهرة » (٣)

وعلم الباطن عند الصوفية مستمد من الشريعة فلا خلاف بينهما ، وغاية ما فى الأمر أن علم الباطن علم ذوق تنطوى عليه الشريعة ، ومتى تحقق العبد بأحكام الشريعة ، وعمل بالكتاب والسنة ، واتجه بقلبه نحو الله وسلك طريق الذوق ، فقد حصل على ذلك العلم ، فالحقيقة ثمرة الشريعة ، وإلى ذلك أشار الشعرانى بقوله عن علم الباطن « هو علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالكتاب والسنة ... والتصوف هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة » (٤)

وصور القشيرى فى الرسالة العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويرا رائعا فقال « الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، فالشريعة جاءت بتكاليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر » (٥)

وعلوم الحقيقة هى العلوم الحائزة على جميع مراتب اليقين . ورد فى التعريفات للجرجانى « علم اليقين ظاهر الشريعة ، وعين اليقين ظاهر الإخلاص فيها ، وحق اليقين المشاهدة فيها » (٦)

ويقول القشيرى فى الرسالة « علم اليقين على موجب اصطلاحهم (أى الصوفية) ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان » (٧)

ومن هذا يتضح لنا أن الصوفية يعتبرون علومهم علوما يقينية حائزة لجميع مراتب اليقين، وهى أسمى مرتبة من حيث يقينها عن سائر العلوم التى تعتمد على العقل وبراهينه واستدلالاته ، وهذا اليقين الذى تتميز به علوم الحقيقة عن سائر العلوم هو يقين كشفى ذوقى يتحقق به العبد متى سلك طريق الصوفية

---

(٢) اختلف الصوفية بشأن المحبة هل هى حال أو مقام، ويرى السهروردى فى عوارف المعارف أنها حال ومقام فى آن واحد . والمهم هو أن نلاحظ أن بعض الصوفية يعتبرون الحب الإلهى موصلا الى المعرفة ، والبعض الآخر يرى أن الحب الإلهى هو نتيجة للمعرفة ، والحق أن يقال ان الحب والشوق إلى الله يدفعان بالمتصوف الى التعرف على الله ، كما أن المعرفة بالله عز وجل تزيد من شدة الحب وقوته ، فالحب سابق ولاحق بالنسبة الى المعرفة

(٣) كتاب اللمع طبعة ليدن عام ١٩١٤ م ص ٢٣

(٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤ طبعة عام ١٣٤٣ هـ

(٥) الرسالة القشيرية طبعة عام ١٣٣٠ هـ ص ٤٣

(٦) التعريفات مادة « حق اليقين »

(٧) الرسالة القشيرية ص ٤٤

ولعله قد اتضح لنا الآن من خلال تقسيم الصوفية للعلوم إلى علوم ظاهرة وعلوم باطنة أن المعرفة على نوعين : النوع الأول معرفة عقلية ظاهرة تعتمد على العقل وأنظاره واستدلالاته ، ومعرفة باطنة ذوقية لا مدخل للعقل أو الحس فيها ، وإنما هي من قبيل المكاشفات ، وهذه المعرفة الذوقية الباطنة التي لا تعتمد على العقل أو الحس تتخذ من القلب أداة لها . وفيما يلي توضيح ذلك :

٣ — إن الصوفية لا يعتمدون على العقل ، ولا سيما إذا كان موضوع معرفتهم هو الله سبحانه وتعالى ؛ إذ أن العقل عاجز عن إدراك حقيقة الذات الإلهية ، ولا يستطيع أن يتوصل إلى إدراك كنهها بضرب من القياس أو الاستدلال النظرى . ويصور فريد الدين العطار — وهو من كبار شعراء الصوفية من الفرس — عجز العقل عن إدراك الله تصويرا بالغ الروعة فيقول « ذهبنا وراء عالم العقل والفهم ، العقل لا يجدى عليك ، إنما يأتى إليك بما يأتى به غربال من بئر . إنما يحاول العقل أن يدرك فى هذا العالم ، ولكن هذا العقل الذى يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الإلهية ، العقل أجبن من أن يرفع الحجاب ويسير قدما إلى الحبيب (٨)

وحقيقة الأمر عند الصوفية أن الذات الإلهية تدرك إدراكا مباشرا ، لا مدخل للعقل فيه ؛ وذلك بواسطة أداة أخرى فى الإنسان يسمونها عادة بالقلب(٩) . فالقلب هو مركز المعرفة ، والله سبحانه وتعالى هو الذى يقذف بالمعرفة فى هذا القلب ، فيصبح صاحبه عارفا محيطا بكل شىء ، فالمعرفة لدنية بهذا المعنى ؛ أى أنها من لدن الله عز وجل

ويسوق الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين مثالا محسوسا رائعا يبين فيه كيف يكون القلب أداة للمعرفة الصوفية فيقول « لو فرضنا حوضا محفورا فى الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر ، فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس ، والاعتبار بالمشاهدات ، حتى يمتلىء علما . ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم داخله » (١٠)

ومن هذا النص يتبين لنا أن الصوفية لا يعتمدون على الحواس الظاهرة فى تحصيل علومهم ، وإنما يعتمدون على القلب فيأخذون أنفسهم بتطهيره من شوائب الحس وأدران المادة حتى تنكشف عنه الحجب ، ويصبح قادرا على إدراك الحقائق ، وقد أشار إلى هذا المعنى الأستاذ زينون نيكولسون بقوله « إن الصوفية لا يستعملون اسم القلب للدلالة على تلك المضغة الجاثمة فى الصدر ، بل يعنون به جوهرا لطيفا غير مادى تدرك به حقائق الأشياء ، وتنعكس عليه كما تنعكس الصور على المرآة . . . ولكن مقدرة القلب على إدراك الحقائق وقبول صورها رهن بصفائه ؛ لأن حجبه تختلف لطافة وكثافة بحسب ما يؤثر فيه من الحواس والشهوات والمعاصى وحب الذات ... ولكن بمقدار ما ينكشف عن القلب من هذه الحجب تكون قدرته على المشاهدة وإدراك الحقائق » (١١)

ومن كل ما سبق نستطيع أن نقرر أن الصوفية اتخذوا من القلب أداة لمعرفتهم ، فهم لا يعتمدون على الحس وما يصطنعه أصحاب الحس من مناهج ، ولا يعتمدون على العقل وما يصطنعه أهله من بحث نظرى واستدلال منطقى ، وإنما هم يعمدون إلى الذوق ، ومعنى هذا بعبارة أخرى أنهم يصطنعون منهجا خاصا بهم فى المعرفة . فما هو هذا المنهج وما هى خصائصه المميزة له ؟ وفيما يلى الجواب على ذلك :

(٨) الدكتور عبد الوهاب عزام بك : التصوف وفريد الدين العطار ص ٧١

(٩) قد يطلق الصوفية على القلب أحيانا اسم الروح أو العقل أو النور أو البصيرة أو غير ذلك من الأسماء التى وإن اختلفت فى ظاهرها تدل على معنى واحد ، وهو أن المعرفة الصوفية تحصل بواسطة ملكة باطنة غير الحواس الظاهرة ، وغير العقل الذى يعتمد على الاستدلال المنطقى

(١٠) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧

(١١) راجع كتاب فى التصوف الإسلامى وتاريخه وهو طائفة من الدراسات التى قام بها نيكولسون ، نقلها إلى العربية وعلق عليها الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٨٠

٤ – يصطنع الصوفية منهجا ذوقيا خاصا بهم ليس من السهل إخضاعه للدراسة العلمية ، فهو منهج خاص بأصحابه قاصر عليهم دون غيرهم . وإذا أردنا أن نعبر عنه تعبيراً سيكولوجيا قلنا إنه نوع من الاستبطان الذاتي، كما أن الإدراكات المباشرة التي يتوصل إليها الصوفي بهذا المنهج إدراكات خاصة لا يمكن إخضاعها للملاحظة الخارجية

هذا والصوفية يدركون الله سبحانه وتعالى إدراكا مباشراً مصحوبا بحالة وجدانية يصعب التعبير عنها بالألفاظ، وهذا الإدراك المباشر يسمى عندهم بالكشف

والكشف كما يعرفه الجرجاني « في اللغة رفع الحجاب وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية ، وجوداً وشهوداً »

ويقول الطوسي في اللمع « الكشف بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين » (١٢)

ويحدثنا ابن خلدون في مقدمته عن الكشف فيقول : إنه يعرض لأصحاب المجاهدة وقد صفت نفوسهم من شوائب الحس فيدركون به من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم ، وبانكشاف حجاب الحس يتلقى الصوفي المواهب الربانية والعلوم اللدنية . ويحدثنا أيضا عن الكشف بما يفيد أنه من قبيل الوجدان ، ومن ثم قصرت مدارك من لم يشارك القوم فيما هم بسبيله من أذواق ومواجيد عن فهم حقيقته .

وأورد الشعراني في الميزان عن محيى الدين بن عربي في الفتوحات ما نصه « من علامة العلوم اللدنية أن تمجها العقول من حيث إنكارها، ولا يكاد أحد من غير أهلها يقبلها إلا بالتسليم لأهلها من غير ذوق ، وذلك لأنها تأتي من طريق الكشف لا الفكر » (١٣)

ويقول الشعراني أيضا « وكان الشيخ محيى الدين بن عربي يقول: أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر، ومن غير طريق العقل، فتنكرت على الناس من حيث طريقها

(١٢) اللمع ص ٣٤٦ .
(١٣) الميزان للشعراني ص ٢٨ — ٢٩ .

فأنكروها وجهلوها » (١٤)

وفي رسالة أرسلها الشيخ محيى الدين بن عربي إلى الإمام فخر الدين الرازي (١٥) « أن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ . . . فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن »

كذلك يرى الغزالي في كيمياء السعادة أن اكتساب العلم اللدني بارتفاع حجاب الحس المرسل بين القلب واللوح (١٦) .

ويحدثنا الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (١٧) عن اكتساب العلم اللدني فيظهرنا من خلال كلامه عن أن العلم الإنساني يكتسب بطريقين: التعلم والاستدلال، ويسمى اعتباراً أو استبصاراً ويختص به العلماء والحكماء، وأما أن يهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري فهو نفث في الروع ، ويسميه الغزالي في رسالته اللدنية بالتعلم الرباني (١٨) .

ويعبر لنا الغزالي أيضا في كتابه المنقذ من الضلال عن كيفية وصوله إلى اليقين بطريق الكشف والإلهام فيقول « ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة » (١٩)

وكذلك يحدثنا السهروردي المقتول في مقدمة كتابه حكمة الإشراق أن ما توصل اليه من العلوم في منازلاته وخلواته لم يكن بطريق الفكر، بل كان حصوله بأمر آخر، يقصد به الذوق أو الكشف ، وهو يقول «ولم يحصل لي أولا بالفكر بل كان حصوله بأمر آخر؛ ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلا ما كان يشككني فيه مشكك »

كذلك يرى الجيلاني في كتابه الإنسان الكامل في معرفة

(١٤) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ٩ .
(١٥) ورد ذكر هذه الرسالة في الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ٥ ، ونشرها عبد العزيز الميني الراجكوتي عن نسخة مخطوطة بحيدر آباد وهي طبعة المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ .
(١٦) كيمياء السعادة للغزالي ص ١٥ :
(١٧) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ١٦ .
(١٨) الرسالة اللدنية للغزالي طبعة عام ١٣٤٣ هـ ص ٣٩ — ٤٣
(١٩) المنقذ من الضلال للغزالي بهامش الإنسان الكامل طبعة عام ١٣١٦ هـ ص ٧ .

الأوائل والأواخر (٢٠) أن إدراك الذات العلية هو بطريق الكشف الذى هو فوق العلم ومن قبيل الذوق

وإلى مثل ذلك ذهب الشيخ حسن رضوان وهو صوفى مصرى توفى عام ١٣١٠ هـ فى كتابه روض القلوب المستطاب (٢١) فهو يرى أن علم الحقيقة لم يتوصل اليه الصوفية عن طريق التفكير أو العقل ، وإنما عن طريق الكشف والإلهام

ويقول الأستاذ رينولد نيكولسون « فإن ما يسميه الصوفية المعرفة بالله ويعتبرونه من أخص صفاتهم يرادف فى اللغة اليونانية كلمة gnosis التى معناها العلم بلا واسطة ، الناشئ عن الكشف والشهود (٢٢) .

ومن كل ما سبق نستخلص أن الكشف الصوفى يعرض لأصحاب المجاهدة وقد صفت نفوسهم من شوائب الحس، فيدركون به من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية مالا يدرك سواهم من أرباب العقول ، وأن الكشف يتم بلا واسطة من نقل أو شيخ أو غير ذلك ، وإنما هو إدراك ذوق مباشر تنكشف فيه حقائق الأمور ، وهو على حد تعبير الغزالى نور يقذفه الله فى القلب

هذا ولكى نبين طبيعة الكشف باعتباره منهجا من مناهج المعرفة نفرق هنا بين نوعين من المعرفة : النوع الأول معرفة استدلالية Connaissance discursive والنوع الثانى معرفة مباشرة حدسية Connaissance intuitive فالمعرفة الاستدلالية ينتقل فيها الفكر من معنى إلى معنى ، كأن ينتقل من المقدمات إلى النتائج، أما المعرفة الحدسية المباشرة فتختلف باختلاف موضوع الإدراك . فهناك إدراك مباشر يتناول الأمور المحسوسة ويسمى intuition sensible ويسميه ابن سينا بالمشاهدة ، وهو معرفة مباشرة للشىء الخارجي المحسوس، وهناك إدراك عقلى مباشر Intuition rationnelle وهو إما أن يكون منطقيا كأن تدرك العلاقة بين معنيين إدراكا مباشراً بنظرة واحدة فهو بهذا المعنى سرعة الانتقال من مجهول إلى معلوم، أو يكون إدراكا عقليا ميتافيزيقيا مباشراً Intuition métaphysique ويتناول موضوعات غير معطاة فى عالم الحس ، وهذا النوع نجده مثلا عند ديكارت وسبنيوزا ، فديكارت يدرك نفسه إدراكا عقليا مباشراً باعتباره جوهراً مفكراً وذلك حين يقول Je pense, donc je suis وهذا الإدراك العقلى المباشر لامدخل لعامل الزمن فيه فهو برهى أو آنى إن صح هذا التعبير

وكذلك يرى سبنيوزا أن معرفة الله هى معرفة حدسية كلية شاملة يسميها Connaissance adéquate ويتولد عنها الحب الإلهى العقلى Amour intellectualis Die وهى تحمل فى ثناياها يقينها ووضوحها

ومن الواضح كل الوضوح أن المعرفة الصوفية ليست من قبيل المعرفة الاستدلالية ، أو المعرفة الحسية المباشرة ، أو المعرفة العقلية المباشرة المنطقية ، أو المعرفة الميتافيزيقية المباشرة العقلية ، إذ أنها لا تعتمد على العقل واستدلالاته ، ولا على المشاهدة الحسية وتجاربها ، وإنما هى من قبيل العرفان المباشر Gnosis ويمكن تسميتها بلغة علم النفس الحديث ، بالمعرفة الوجدانية الصوفية المباشرة ، ووسيلتها هى الإدراك الصوفى الوجدانى المباشر Intuition mystique وهذا المعنى ينطبق تماما على مايطلق عليه الصوفية كلمة « كشف »

والآن ما هو موضوع المعرفة الصوفية التى تتخذ الكشف منهجاً لها ؟ وفيما يلى الجواب على ذلك :

للكلام بقية

أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

---

(٢٠) الإنسان الكامل طبعة عام ١٣١٦ هـ ص ٢٠ .

(٢١) روض القلوب المستطاب، القاهرة ١٣٢٢ هـ ص ٤٧٤-٤٧٥

(٢٢) في التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٧٤ .

لوامع النجوم

مختصر شمس العلوم

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

نشرت في عدد مضى (١) من هـذه المجلة الكريمة وصفا للمعجم المسمى « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري ، وقدمت صورة تقرب إلى الذهن هذا المعجم العظيم الذي لا يعرف ، مع أنه معجم رحب دقيق صحيح ، وذكرت في ذلك المقال : أن لهـذا المعجم مختصرا اسمه « ضياء الحلوم » وهو بمكتبة شيخ الإسلام الإمام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة ، وأن من الأصل نسخة بهـذه المكتبة

وعلمت بعد نشر مقالى الأول في الرسالة أن لهذا المعجم مختصرا آخر اسمه « لوامع النجوم » فبحثت عنه حتى وجدته ، ويستطيع قارئ هذه المجلة أن يدرك حقيقة شمس العلوم الموضوعية وطريقة تأليفه إذا ما وصفت له هـذا المختصر الذي يسير في الطريق الذي سار فيه « الشمس »

وقبل أن نبدأ وصف الموضوع والطريقة ، ننتهى من وصف النسخة وشكلها وما يتعلق بنعوتها المادية ، حتى إذا أنجزنا ذلك انتقلنا إلى صلب الكتاب

هذا المختصر الجديد اسمه — كما قلت — «لوامع النجوم» وعدد أوراقه ٣٥٨ ، وكل ورقة مكتوبة صفحتاها إلا الأولى والأخيرة فإنهما من وجه واحد ، وطول الورقة ٣٠ س وعرضها ١٦س ، وفي كل صفحة ٢٨ سطرا ، وفي السطر ١٨ كلمة إلى ٢٠ ، والورق جيد إلا بعضه فقد انتكث أطرافه ، ومن جراء ذلك نقصت كلمات كثيرة في بعض الصفحات ، إلا أنها تعرف من السياق

أما الخط فمربي ، ولكنه غير جميل ، وإن كان مقروءا بتعب ، والناسخ أهمل نقط كثير من الكلمات ، كما أغفل بعض الحروف كحذف همزة الوصل وحذف الألف في مواضع كثيرة

والخط بقلم الناسخ لا المؤلف ، لأن في آخر الكتاب سطرا مكتوبا بالقلم الذي خط به الكتاب كله وهو هـذا : (تم الثلاث عشر الخمس والثلاثين من ماه مبارك رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة) وهو يدل على أن كاتبه أعجمي ، وأغلب الظن أنه تركي الأصل ، لأن تركيب الجملة يدل على ذلك

والنسخة وقف ، وقد كتب في أول صفحة منه « وقف لله تعالى » كما كتبت الجملة نفسها في صفحة ٣٤٨ أول باب الصاد — وهو القسم الثاني من هـذا المختصر — وكتبت كلمة « وقف » في رأس صفحة ٧١٤ وصفحة ٧١٥

ولم يذكر الناسخ اسمه ، وإن كان قد ذكر تاريخ الفراغ من النسخ ، وهو التاريخ الذي ذكرناه للاستدلال بصيغته على أعجمية الناسخ

أما مؤلف « لوامع النجوم » فلم يكتب اسمه ، وبحثت فيما لدى من مراجع فلم أجد اسمه ولا سنة تأليفه أو الفراغ منه ، وسألت كثيرا من أصدقائي العلماء فلم يعرفوا الكتاب ولا اسم مؤلفه ، ولعل لدى المشتغلين باللغة والعلماء علما به فيكتب في الرسالة بما يظهره ويكشف حقيقته

وعكفت على الكتاب أقرؤه فلم أجد ما يشير إلى زمن المؤلف ، ولم أجد ما يشير إلى شيوخه أو تلامذته أو أنداده فأهتدي بهم إليه . والمقدمة نفسها خالية من اسم المؤلف وهي في سبعة سطور ، ولكن بعض كلماتها غير موجود ، لأن موضعه من الصفحة قد انتكل ، وهأنذا أنقلها بعد وضع النقط على الكلمات التي أهمل إعجامها ، ووضع الكلمات المأكولة اجتهادا مني وجعلها بين أقواس للدلالة عليها

وها هي ذي المقدمة : « الحمد لله الذي فضل الإنسان على سائر الحيوان ومن (عليه بالبيان) والسلام على رسوله أفصح من نطق بالضاد ، وأفضل من أوتى الشفاعة (يوم التناد) وعلى عترته وأحبابه . أما بعد فلما كان كتاب شمس العلوم مفيدا في علم اللغة غاية الإفادة ، شكر الله سعيه في كل الإجادة ، لم يوضع

(١) راجع الرسالة عدد ٩١٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٠

فيه كتاب على هـذا الترحيف (٢) يأمن كاتبه وقارئه (من التصحيف) بحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجملها مع جنسها وشكلها . لكن كان محتويا على (كلام العرب) ومشتملا على بعض قواعد من علم الأدب ، وعلى شيء من منافع الأشجار (وعلى) بعض ما يتعلق بالأحاديث والأخبار ، وعلى تفسير بعض الآيات ، وتبيين ألفاظ مما لا تعلق (له) باللغة كل التعلق ، ولا يدركه من لم يتعمق في اللغة كل التعمق ، أردت أن (أختصر) اللغات فيه ، ليسهل تحصيله على طالبيه ، فجاء بحمد الله مشتملا على جميع (الأبواب) هنالك مع ذكر بعض مايتعلق به من الأمثلة أو غير ذلك وسميته بلوامع النجوم »

وهو كشمس العلوم يسير على حروف المعجم ، وبدأ بحرف الهمزة ويسمى « كل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعل لكل حرف من حروف المعجم بابا ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا . ثم جعل لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثالا . فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة الحركات والشكل ، ورادة كل كلمة من بنائها إلى الأصل » (٣)

إنه سار على حروف المعجم ، وسمى — مثل شمس العلوم — كل حرف منها كتابا ، فيقول مثلا : كتاب الهمزة وكتاب الباء وهكذا حتى الياء ، ويذكر تحت عنوان كتاب الهمزة كل حرف مبدوء بها مقسما إلى أبواب ، فالهمزة مع غيرها من الحروف باب ، وهكذا الباء والتاء والثاء الخ

وطريقته في مختصره أن يبدأ كل باب بحروف المضاعف مبتدئا بالمجرد من الأسماء وزن فعل (بفتح الفاء وسكون العين) فيذكر في كتاب الهمزة باب الهمزة وحروف المضاعف ، ويقول .

« فعل بفتح الفاء وسكون العين الأب المرعى . الأد القوة وهو الآد والأيد أيضا الأس كان ذلك على أس الدهر أي قدمه الخ »

ثم يذكر « فعل بضم الفاء أو من أسماء الرجال وأد أبو قبيلة س الأس الجمع آساس كأخفاف وكان ذلك على أس الدهر أي قديمه الخ »

ثم : « فعل بكسر الفاء د الإد الشيء المنكر س كان ذلك على إس الدهر أي قدمه ص لإص الأصل ل الإل الله عز وجل والإل العهد واليمين والإل القرابة »

ثم : « فعل بفتحتين الأمم القريب المقابل . داره أمم داري أي مقابلتها . وبضم الفاء : دادد أبو قبيلة من الجن »

وإذا انتهى من المجرد بدأ بالمزيد ويفصل بينهما بكلمة « زيادات » فيقول : « فاعل جئت بشيء أد وآد بمعنى وبالهاء (أي آدة) الآمة الشجة تبلغ أم الدماغ »

ثم يذكر « فعال بالفتح ث الأثاث متاع البيت واحدته أثاثة ، الفراء لا واحد له من لفظه ، والأثاث كثرة المال الخ »

ثم « وبالضم ج الماء الأجاج الملح ويقال الحادح الإجاح العطش والأحاح الغيظ ، في صدره أحاح ن الأنان الأنين وبالهاء الخ »

ثم « فعال بالكسر ب هو في إبابه في جهازه ج الاجاج شدة الحر »

ثم يذكر « فعول بفتح الفاء وضم العين وكذا جميع ما في هذا الكتاب من فعول غير محروس فإن أتى خلافه حرس بوزنه ص الأصوص الناقة الشديدة »

ثم « فعيل » وهكذا حتى ينتهي من الأسماء ليبدأ الأفعال فيذكر أبواب الثلاثي الستة فالرباعي المجرد ثم مزيد الثلاثي بحرف فحرفين فثلاثة ثم مزيد الرباعي وهكذا تحت عنوان « زيادات » يجعله بين السطور

وفي الكتاب لونان : أسود وأحمر ، أما الأسود فالكتاب كله إلا بعض هذه الإشارات ، مثل هذه العناوين الداخلة بين السطور : « الزيادة ، والأسماء ، والأفعال » وبعض العلامات فبالقلم الأحمر ، ومن هذه العلامات أنه إذا أراد أن يذكر فعالا في باب الهمزة كتب « ب » بقلم دقيق يرمز به إلى أن الكلمة الآتية من باب الهمزة أي مبدوءة بالهمزة يعقبها حرف الباء

---

(٢) لم أجد الترحيف في المعجم التي بين يدي ولم أجده في لوامع النجوم نفسه ولعله « الترصيف »

(٣) راجع مقدمة شمس العلوم مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة

مباشرة مثل إب ، وإذا انتهى من الباء وضع ت أو ث صغيرة الحجم جدا وهكذا ، وإذا لم يرد من وزن فعال ما فيه حرف التاء بعد الهمزة انتقل إلى الحرف الذى ورد من هذه الصيغة مثل : إجاج . ويضع الرمز بحرف جد صغير ودقيق هكذا ج الإجاج شدة الحر

والكتاب جزءان فى مجلد واحد ، وإن لم يذكر المؤلف أو الناسخ ذلك . إلا أننا زعمنا هذا من مظاهر الكتاب ، فهو يضع كل « كتاب » عندما ينتهى من سابقه فى الموضع الذى ينتهى إليه بدون أن يجعله مستقلا من أول الصفحة أو أول السطر ، إلا أنه عندما انتهى من حرف الشين بقى ثلثا الصفحة فارغين أبيضين ، وترك الصفحة على حالها من البياض وانتقل إلى صفحة جديدة كتب فى وسطها « كتاب الصاد » وهى توافق صفحة ٣٤٨ أو ظهر الورقة الرابعة والسبعين بعد المائة ؛ ثم ينتهى الكتاب بحرف الياء مع الألف فى الورقة الأخيرة التى يوافقها فى الترتيب رقم ٣٦٨ أو الصفحة ٧١٥

وفى الكتاب أخطاء جد كثيرة من الناسخ لا تخلو منها صفحة من صفحاته ؛ حتى أن غير المتمكن فى اللغة لا يستطيع معرفة كثير منها ، مثال ذلك فى الصفحة الثانية : « هو فى إبانه فى جهاده » وصوابها : « هو فى إبابه فى جهازه » « والأحاج الغيظ فى صدره أحاج » والصواب : « الأحاح الغيظ . فى صدره أحاح » وفى صفحة ٢٠٧ « الدرك بالقاف الجندفوق » وصوابها : « الدوق بالقاف الحندقوق » والحندقوق بفتح الحاء وكسرها بقلة كالفث الرطب نبطية معربة

ويغلب على الناسخ قلب الهمزة فى اسم الفاعل كطائر وقائم وصائم ونائم وبائع ياء فتصير : طايرا وقايما وصايما ونايما وبايعا ، مثال ذلك ما ورد فى صفحة ٢٢ (الباسوس طاير) وجاء فى هذه الصفحة نفسها ما خطه الناسخ هكذا : (أبلح النحل صار فيه البحل) وصحته : « أبلح النخل صار فيه البلح »

ويسقط قلم الناسخ فى كثير من المواضع كلمات لا تدرك إلا بعد جهد ممن رسخ فى اللغة علمه ، وقل من أخطائه ما يدرك من السياق لغير المتمكن الضليع ، ومن أخطائه التى تعد أقرب إلى البيان والظهور ما أنقله كما كتب للدلالة على جناية الناسخ على المؤلف – رحمهما الله –

جاء فى صفحة ٢١ : (البلاط الحجارة المفروشة وكل شىء فرشت به الدارين حجره وغيره فهو بلاط ع اسم من التبليغ والبلاع الكماية)

فالناسخ أهمل نقط كثير من الحروف وسقطت منه كلمة وصحف أخرى ، وزاد حرفا وغير ذلك ، وصواب تلك الجملة خطا وكتابة وتركيبا كهذا « البلاط الحجارة المفروشة وكل شىء فرشت به الدار من حجر وغيره فهو بلاط غ البلاغ اسم من التبليغ والبلاغ الكفاية »

* * *

وبعد هذا أتجه إلى الحكومة اليمنية التى تتولى طبع معجم شمس العلوم من جديد لأطلب إليها ما طلبته فى كلمتى السابقة ، لا وهو العناية كل العناية بترتيب هذا المعجم العظيم وتنسيقه وتبويبه وإتقان طبعه وتأليف فهرس لألفاظه يكون مفتاحا بيد المراجع ومرشدا إياه إلى ما يريد ، وذلك مثل فهرس الجمهرة لابن دريد المطبوع فى الهند ، ثم أطلب إلى العلامة الشيخ عبد الله ابن عبد الكريم الجرافى الذى انتدب من حكومة اليمن لنشر شمس العلوم أن يطلع على هذه النسخة الخطية من « لوامع النجوم » إذا لم تكن فى مكتبات اليمن القيمة نسخة منه

وإنى سأبعث إليه مخطوطة هذا المختصر إذا رغب ، وهى بمكتبة الأستاذ السيد عبيد مدنى عضو مجلس الشورى بمكة والأستاذ السيد أمين مدنى رئيس بلدية المدينة المنورة اللذين استعدا بتقديم هذه النسخة إلى الشيخ الجرافى عارية مستردة للاطلاع عليها . وفى وسع الشيخ الجرافى أن يطلبها من أحد مالكى النسخة لأنهما مقيمان بالحجاز ، أما أنا فسأسافر بعد أسبوعين إلى أسبانيا للاطلاع على مكتبة الأسكوريال ، ثم إلى باريس وبرلين ولندن والفاتيكان للاطلاع على مكتباتها التى تحوى نفائس التراث العربى الغالى الثمين ، وأرجو الله أن يوفقنا جميعا إلى خدمة لغة القرآن

مكة — **أحمد عبد الغفور عطار**

على هامش مشكلة اللاجئين

صوت مصر...

للآنسة فائزة عبد المجيد

(... وقال الكاتب العربى أ . م فى الرسالة قولا كريماً حول مشكلة اللاجئين كان له فى النفس هـذا الصدى ...)
ف . ...

«قطرات من الدموع ، ندىً من الرحمة ، وقليل مما يسد الرمق، ذلك ما يطلبه البائسون من المترفين، وحسبهم منه القليل» كما يقول لا مارتين ، ترى ، أكان من ذلك وحيك ، لتمسح جراحا وتهز قلوبا ، وتحيى ضمائر ، وحولك مأساة تكاد لها الجبال الصم تميد ؟ ..

قلت فى صرختك : «إنى كفرت بالضمير الإنسانى ، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية ! وكل خليقة من خلائق الأحياء ، حين تكون هـذه الخلائق مجموعة من المشاعر والأحاسيس . . . مشاعر الدم الواحد واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة وأحاسيس الأخوة والعروبة والجوار!» وإنه لحق ، لولا نفوس ترسل النداء — كما أرسلتموه — جهيراً قويا : ألا رفقاً أيتها الحادثات ، غفرانا أيها الإخاء المعذب ، فما نسينا لك — على الشدائد — عهداً ، وإن هادن الدهر ، وضلت عن السبيل القوافل :

قد هادن الدهر حتى لا قراع له   وأطرق الخطب حتى ما به حرك

* * *

أو كفرت بالعروبة حين عادت لا تجمعها — عند النوازل — جامعة من دين ولغة وتاريخ ، حين دخلت معركتها الأولى بلا إيمان ، لتفضحها مشكلة اللاجئين ويصمها حكم التاريخ ، والدليل الحق لا يدفعه دافع ؟ أو راعك صوت التاريخ يقول لفلسطين ماقاله شاعر أثينا يوم هوت : «لقد اختفت أثينا من صفحة الوجود، ليختفى الربيع من فصولك أيها الزمن !» أو أبكاك النشيد يهز بشجوه الحضر والبيد : «يا أخت أندلس عليك سلام ..»

وهل كانت محنة فلسطين إلا محنة العروبة فى شرفها تصاب، وللعروبة أبناء فى فلسطين يردون موارد الهلاك أذلاء ، فأقض مضاجعهم توجساً من موت يسرى فى جموعهم ، ومن شقاء يبيدهم :

«سرى الموت فى الظلماء والقوم فى الكرى
وقام على ســـاق ونحن قعود»

وهل محنة فلسطين إلا محنة العروبة فى افتضاح قوتها ، فى عطلها من الرأى العام الذى يوجه السياسة العليا حين يقول كلمته وعلى إرادته ؟

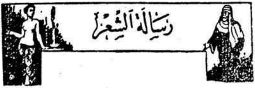
ألا تعال معى ، وطف فى تلك الكهوف واشهد : هنا الإنسانية تتعذب ، تلك الطفولة تذوى . تتطلع إلى النور فتحجبه عن نواظرها الدموع ، تشقى ، قبل أن يشقيها الكفاح . أو سمعتها وهى تقول : رب إنى مسنى الضر ؟ أو رأيت كيف غضنت الهموم جباه الصغار قبل السنين ، كيف غرقوا فى لجج اليأس ، أضحوا عبيداً قبل أن تظللهم راية الحرية ، تخلت عنهم محبة الأرض والسماء ، سقطوا ، وما من ضماد

ألا دع الصغار يبكون ، ثم ماذا ترى ؟ خياماً ممزقة ، أشباحاً فى أسمال ، نظرات جازعة ، وأكفا ضارعة ؟

ألا لا تسأل : دع الجراح فى الحنايا وفى الضلوع ، فأشدها حين تنكأ . دع لها الذكريات ، فما أمر تذكرها ! دع لها الدمع ينبئك ، ففيه بلاغ :

لم يبق شئ من الدنيا بأيدينا   إلا بقية دمع فى مآقينا

نابلس — فلسطين   فائزة عبد المجيد



لا يا أخي ..

للشاعر محمد مفتاح الفيتوري

الآن وجهي أسود .. ولأن وجـ   ـهك أبيض . سميتني عبدا
ووطئت إنسانيتي .. وحقرت رو   حانيتي .. فصنعت لي قيدا
وشربت كرمي ظالما .. وأكلت بقلي   ناقما . . وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط مغازلي   وتركت لي التنهيد والكدا
وسكنت أبهاء القصاصير التي   بيدي نحت صخورها العلدا
وأنا كم استلقيت في كوخ الدجى   أتلفح الظلمات والبردا
كالشاة ... أجتر الكآبة عاقداً   حولي دخان تفاهتي عقدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السما   وانساب نهر الفجر ممتدا ..
أيقظت ماشيتي الهزيلة وانطلقـ   ـت أقودها لمراحها قودا
فإذا سمن نعمت أنت بلحمها   ونبذت لي الأمعاء والجلدا

* * *

لا يا أخي .. إن التهاب مشاعري   هيهات بعد اليوم أن يهدا
هيهات . . لم أخلق عليها بومة   تقتات بالديدان . . أو قردا
أنا كائن أمي وأمك طينة   والنور ليس لأينا جدا
فإلام تحرمني حقوق بينما   تلق الرغادة أنت والمجدا
وإلام تستعلي بأنفك سيدا   وأنا أطاطئ هامتي عبدا

* * *

إني صحوت .. صحوت من أمسي وذي   فأسي تهد قبوره هدا
سأكون نارا فالحياة تريدني   ناراً .. وأرقص فوقها رعدا
فاخلع براقع كبريائك إنني   أسكنت جيفة ذاتي لحدا
واضمم يديك إلى يدي نشد معا   صرح المحبة بيننا شيدا

* * *

إني أخوك فلا تعق أخوتي   فتزيد بركانيتي وقدا ...
إياك لا تبذر بذور عداوتي   فتروح تحصد شوكها حصدا
إياك لا تزرع حقولك عوسجا   إني زرعت حقولي الوردا

محمد مفتاح الفيتوري

نار ورماد

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

عشقتك يافتنة الملهمين   كما يعشق الوردة البلبل
عشقتك والحب أشهى جنون   لدى شاعر ليله أليل
تدله فهو نبي الفتون   وآيانه شعره المرسل
وغنيت شعراً وعته السنون   وردده الروض والجدول
وتنقله الريح للياسمين
فالدنى غزل
والهوى قبل
وأنت ارتعاشات عطر سجين

* * *

أيا كرمة الحب أين الرحيق ؟   وأين لياليك يا غانيه ؟
وأين القلوب التي لا تفيق   وأين الصبابات يا ساليه ؟
أظلل روحك ومض البريق   تلألأ في ليلة داجيه
أما كنت لي بسمات الشروق   وكنت بشائره الزاهيه
نفحت مواعيد واه خفوق
دهره ينوح
عمره جريح
فلا تسألي كيف ضل الطريق

* * *

حنانيك ياجنة الأمنيات   إلام الطواف وراء المحال
وفيم التعلل بالذكريات   وكل الذي نرتجيه خيال
أتنسين أنا بتيه الحياة   زوال يخب وراء الزوال
وأنا سراب بدا في فلاة   تقمص تيهاً رداء الجمال
وصال وما هو إلا رفات
تسامى كما
تسامى السما
ويلبس زوراً رداء التقاة

* * *

عشقنا دروب الأسى والسقم   فأيان نسر فدنيا عذاب
لقد جمعتنا طيوف الألم   ووحدنا حبنا للسراب
سئمنا. هل العمر إلا سأم   وشبنا ونحن بفجر الشباب

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اقرار كلمات محدثة :

يذكر قراء « الرسالة » البحث القيم الذي ألقاه الأستاذ أحمد حسن الزيات في العام الماضي بمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان موضوعه « حق المحدثين في الوضع اللغوي » ونشرته الرسالة إذ ذاك ، وقد عقبت عليه وأوردت أهم ما دار في مؤتمر المجمع .

وكان ذلك البحث تمهيداً وأساساً للنتيجة العملية التي ظفرت بها اللغة في الأسبوع الماضي ، إذ عرض الأستاذ على مجلس المجمع في جلسة يوم ٢ مايو سنة ١٩٥١ طائفة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين في الصيغة أو في الدلالة ، وعددها واحد وخمسون ، أقر المجمع منها تسعة وثلاثين ورفض أربعة ، وأحال ثمانية إلى لجنة الأصول لبحثها

ولا شك أن الألفاظ التي أقرت تعتبر منذ اليوم مضافة إلى اللغة الصحيحة ، وهي ليست في المعاجم الحالية بطبيعة الحال ، ولا بد أن يشتمل عليها ما يوضع بعد من المعاجم ، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة ، ليست مقصورة على إضافة هذه المجموعة من الألفاظ بمعانيها الجديدة إلى اللغة ، وإنما هي إلى ذلك في إقرار قبول الوضع والسماع من المحدثين ، فلم تعد اللغة وقفاً على ما سمع من العرب الأولين ، بل صار للأحياء الذين يستعملونها حق التصرف فيها على حسب حاجاتهم ، على أن يشرف المجمع على استعمال هذا الحق ، باعتباره المختص باللغة القيم عليها

وفيما يلي طائفة من الألفاظ التي وافق عليها المجمع مع بيان الأستاذ الزيات ما يسوغ إقرارها ، والبقية في الأسبوع القادم :

١ — سام : يستعمل المحدثون سام بمعنى شارك وقاسم ، والعرب لم يستعملوه إلا في المقارعة وهي الغلبة في القرعة .

فديتك هل نحن إلا حلم تجسد مستكبراً بالتراب
وعربد وهو ربيب العدم
عمرنا لهب
حبنا عجب
فلا تندمي ليس يجدي الندم

* * *

رمادي تأوه منذ الأزل وما زال ظمآن دامي الجراح
أيبقى على ناره يبتهل سجين الخطايا كسير الجناح
فيا باريء أين نور الأمل ويا باريء أين درب الصلاح ؟!
أليس لكل كتاب أجل أليس لكل مساء صباح
لقد ضاق صدري ومل اللظى
ودارت كؤوس
وغابت شموس
وما زال جرحي لم يندمل

* * *

أدمت روحي وأنت الأمان وأظلمت قلبي وأنت القمر
فأرسلتني في ركاب الزمان حداء تفجع منه القدر

ومنيتني والأماني دخان كفرت بها اليوم فيمن كفر
أأحيا بأحلام دنيا الجنان وترقص حولي جنوناً سقر
ويلثم جرحي ثغر السنان
وجودي عدم
شرودي ألم
وبوي دموع وعمري هوان

* * *

أيا مانح الروح هذا الجسد علام كتبت عليه الشقاء ؟!
أتوعده بنعيم الرغد وتحرمه من طيوف الهناء ؟!
أتغريه بالحسن نهداً وخد وتصليه بالنار بعد الفناء ؟!
أتقذفه في خضم النكد وتتركه بين ناب القضاء
لينهشه أفعوان الحسد
حياتي سقر
وذاتي ضجر
فهات جحيمك صبري نفد

* * *

عبد القادر رشيد الناصري

ولاستعمال المحدثين أصل، فقد قال العرب: تساهموا الشيء: تقاسموه . واستعملوا السهم بمعنى القاسم انيره بالسهم ، قال البديع فى إحدى رسائله « افترضى، أن تكون سهم حمزة فى الشهادة » .

٢ — هدف واستهدف : صاغ المحدثون من الهدف بمعنى الغرض، هدف إلى الشيء: قصد إليه، واستهدف الشيء: جعله هدفا له . والعرب لا يستعملون هدف إليه إلا بمعنى دخل وقارب ، ولا استهدف الشيء إلا لازما بمعنى انتصب وارتفع ودنا منك .

٣ — المظاهرة: يستعمل المحدثون المظاهرة بمعنى إعلان رأى أو إظهار عاطفة فى صورة جماعية، وهى تقابل فى هذه الدلالة لفظ Manifestation فى الفرنسية والإنجليزية . والعرب يستعملونها بمعنى العون من الظهر ، كالمساعدة من الساعد ، والمعاضدة من العضد ، والمكاتفة من الكتف . والأقرب إلى المعنى الحديث تظاهروا تظاهرا ، فقد قالوا تظاهر فلان بالشيء: أظهره ، ولكن المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها .

٤ — تجمهر : يقول المحدثون : تجمهر الناس : اجتمعوا . والعرب يقولون : تجمهر علينا : تطاول . ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم : جمهر التراب : جمع بعضه فوق بعض

٥ — الكتلة والتكتل : يقول المحدثون : تكتل الناس : صاروا كتلة ، أى جماعة متفقة على رأى واحد . والعرب لا يعرفون تكتل إلا بمعنى تجمع الشيء، وتدور ، ولا من الكتلة إلا بمعنى ما جمع من التمر والطين ونحوهما ، والكتلة فى لغة العلوم والحضارة تقابل لفظ Masse فى الفرنسية والإنجليزية

٦ — الجلطة وتجلط الدم: الجلطة بالفم هى الجزعة الخاثرة من اللبن الرائب ، وقد توسع فيها المحدثون فأطلقوها من باب التشبيه على الجزعة من الدم إذا تخثر ، وقد اشتقوا منها تجلط الدم إذا تخثر

٧ — الدخان ودخن : يطلق المحدثون الدخان على التبغ ، ودخن بالتشديد على إحراقه ، وهو من قبيل المجاز المرسل

٨ — الحشيش والحشاش : يريد العرب بالحشيش ما يبس من الكلأ ، وبالحشاش من يقطع الحشيش على البالغة . والمحدثون يريدون بهما فوق ذلك المادة المخدرة المعروفة ، ومن يتعاطاها

٩ — القنبلة : القنبلة فى اللغة : الطائفة من الناس أو من الخيل ، ومصيدة يصاد بها أبو براقش ، وفى استعمال المحدثين القذيفة المتفجرة ، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد . (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن ينص على أن أصلها الفتح ثم ضمت وعلى أنها أقرت لأنها نمورفت وشاعت)

١٠ — الفشل — فشل الرجل: كسل وضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . والمحدثون يستعملون

كشكول الأسبوع

□ نال رتبة البكوية فى الإنعامات الملكية الأخيرة ، صاحب العزة حسين توفيق الحكيم بك مدير دار الكتب المصرية وهو الأدب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم

ونال هذه الرتبة أيضا الدكتور ابراهيم ناجي بك مدير القسم الطبي بوزارة الأوقاف وهو شاعرنا الكبير المعروف

ونال رتبة البكوية أيضا صاحب العزة احمد بك رمزى مدير عام مصلحة الاقتصاد الدولى وأحد كتاب الرسالة تهنئنا لهم جميعا

□ أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول من ديوان بشار بن برد ، نقلا عن نسخة خطية فريدة فى العالم كله ، وقد عنى بإخراج هذه النسخة الأستاذ العلامة السيد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة فى تونس ، مع إضافة شروح وتعليقات به وقد تولى الوقوف على طبع هذا الديوان وتصحيحه ومراجعة ما فيه من الشروح والتعليقات الأستاذان رفعت فتح الله المدرس فى كلية اللغة العربية ومحمد شوقي أمين المحرر بالمجمع اللغوى . وقد خرج هذا الجزء مثالا حسنا لنشر الذخائر العربية نشرا علميا دقيقا يرضى نزعة البحث والتحقيق

□ احتفلت جامعة أدباء العروبة بذكرى تأسيسها ، فى نادى الصحفيين ، فافتتح الاحتفال سعادة رئيسها ابراهيم دسوق أباظة باشا بكلمة وجه فيها امتاب إلى الصحافة لإهمالها الأدب بعد أن كانت تهتم به وتخصص له صفحات كاملة فى الجرائد اليومية

□ وفى هذا الاحتفال ألقى الدكتور ابراهيم سلامة كلمة دافع بها دفاعا حارا عن الشعراء الذين يعكفون على خواطرهم الذاتية فى أبراجهم العاجية ، فلما جاء دور الأستاذ احمد مخيمر نهض فألقى قصيدة قوية عاكس بها الدكتور سلامة .. إذ نعى على الشعراء عزلتهم وبعدهم عن حياة الناس ، ودعا إلى الإحساس بما فى الحياة الواقعة والشعور بالتبعة الاجتماعية

□ فى الندوة الكيلانية جاء ذكر ما قاله شكسبير على لسان « مكبث » بعد أن قتل الملك « دانكان » وهو : إن بحار الدنيا لا تستطيع أن تمحو نقط الدم من يدى . فقال الأستاذ كامل كيلانى : لقد أتى المعري بشبه هذا المعنى على سبيل الحقيقة ، إذ قال فى رسالته إلى أبى القاسم المغربى « يجمع بين

فشل بمعنى خاب ، كأنهم يطلقون السبب ويريدون المسبب ، فهو من قبيل المجاز المرسل

١١ — الجيل : الجيل : الصنف من الناس ، وقد توسع فيه المولدون ، فاستعملوه على أهل الزمان الواحد ؛ ويظهر أن هذا الاستعمال قديم ، فقد قال المتنبي « وإنما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن »

١٢ — القاع : القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والمحدثون يستعملونه في أقصى الشيء وعمقه ونهاية أسفله ، فيقولون قاع البئر وقاع النهر تفاديا من ذكر القعر .

١٣ — القهوة : يستعمل المحدثون القهوة في المكان الذي تشرب فيه ، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية ، كقولهم نزلنا على ماء بني فلان ، أي على بئرهم ، والمؤمنون في رحمة الله ، أي في جنته . وهذا الاستعمال صحيح يغنينا عن كلمة القهوى الثقيلة

١٤ — غير : يدخل المحدثون عليه أداة التعريف ، ويجمعونه على أغيار ، ولم يسمع ذلك عن الأولين . والتعريف والجمع أمران تقتضيهما الحال ؛ وعلى الأخص في لغة القانون

١٥ — الغيرية : عرف المتقدمون الغيرية مقابلا للعينية ، وهي أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر . ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للأنانية فتكون معنى من معاني الإيثار .

١٦ — الشقي : ضد السعيد . والمحدثون يطلقونه أيضا على اللص وقاطع الطريق (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن يزاد في شرحها أن تدل على الأطفال « العفاريت ») .

١٧ — التأميم : أمم الرجل المكان قصده . والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون بتأميم الشيء : جعله ملكا للأمة

١٨ — التدويل : اشتق المحدثون من لفظ الدولة — دول المكان وغيره جعله دوليا

١٩ — التصنيع : قال العرب : صنع الجارية : أحسن إليها وسمنها ، وتصنيع الشيء : تحسينه وتزيينه بالصناعة . والمحدثون يريدون بالتصنيع معنى جديدا وهو جعل الأمة صناعية بالوسائل العلمية

٢٠ — التركيز : ركز الرمح ونحوه : غرزه في الأرض . والمحدثون يطلقون التركيز على التكثيف والتجميع والحصر ، فيقولون : ركز اللبن ونحوه : كثفه ، وركز فكره في كذا : حصره

٢١ — أعدم المجرم : يقول المحدثون : أعدم الجلاد المجرم . شنقه . والمسموع عن العرب : أعدم الرجل : افتقر ، وأعدم فلانا : منعه ، وأعدم الله فلانا الشيء . جعله عادما له

٢٢ — التقاليد : جمع تقليد . ويريد بها المحدثون السنن الموروثة والعرف المتناقل . وهي من قول العرب

الانظ القليل والمعنى الجليل جم الأفنوان بين القلة وفقد البلة ، والبلة : الشفاء

◘ وقال دولة احمد حلمي باشا في البيت المشهور :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

قال : إن الأفعى لا تقذف السم إلا إذا انقلبت على ظهرها ، وهذا هو معنى التقلب في البيت ، وفيه إيماء لطيف إلى تقلب المنافق

◘ نشرت « المصري » بعض مواد قانون التعليم الجديد ، وقد جاء فيها هذا النص « ويجوز إبدال ورقة امتحان اللغة الأوربية بورقة إضافية في اللغة العربية أو في أخرى لمن لم يتلقوا لغة أوربية » والذي نعرفه أن الباء في مثل هذا التعبير تدخل على المتروك ، ولكنا نراها هنا تدخل على مقابله وهو خطأ شائع ، ولكن اللائق بوزارة العلم والتعليم أن تتحرز منه وخاصة في قانون يعد للصدور باسم الدولة

◘ كتب إلى زميل صديق من خريجي دار العلوم ، يشكو من القيود التي تفرضها الكلية للقيد بقسم « الماجستير » فهي تفرض امتحانا في مادتين من المواد المقررة ، وتحتم حضور محاضرات ، مما لا نظير له في الكليات الأخرى . وهذه قيود لا تتفق وظروف المتخرجين المفروض فيهم أنهم يزاولون الحياة العملية ويقدمون بهذه الدراسات في أوقات الفراغ ويكتفى من مثلهم بما يقدمون من بحوث

◘ أوشك الأستاذان حامد عبد المجيد وأحمد بدوي ، أن يفرغا من تحقيق كتاب البديع في نقد الشعر ، تأليف أسامة بن منقذ ويمتاز هذا الكتاب بكثرة الإستشهاد ودقة النقد والموازنات ، وهو مرجع هام في البلاغة وتاريخ النقد ، يصحح كثيرا من القضايا المتداولة ولم يقطع الأستاذان المحققان بعد برأي في طريقة نشر الكتاب وجدير بإدارة الثقافة بوزارة المعارف أن تتولى طبعه ونشره ، لأنه أليق بمهمتها في نشر التراث الثقافي

◘ ظفر الأستاذ محمود أحمد بالجائزة الأولى في مسابقة وزارة الشئون الاجتماعية للتأليف المسرحي ، بروايته « بائعة الكستناء » وهي تمثيلية تصور حياة فريق من الطلبة الغرباء بمصر وآرائهم وأفكارهم فيما يحيط بهم ، وكانت البطلة تبيعهم الكستناء (أبو فرودة)

قلده فى كذا . تبعه من غير نظر ولا تأمل .

٢٣ — القيم : يقول المحدثون كتاب قيم ومقالة قيمة ، أى له ولها قيمة . ولم يسمع عن العرب هذا المعنى ، وإنما يطلقون القيم على زوج المرأة وعلى متولى الأمر . والقيمة الديانة المستقيمة

٢٤ — أثث البيت . اشتق المحدثون من الأثاث وهو متاع البيت : أثث المسكن جعل فيه أثاثا . والمتقدمون لا يقولون إلا أثث الفراش أو البساط إذا وطأه ووثره

الأدب فى تاريخ « الأهرام » :

أصدرت صحيفة « الأهرام » فى الأسبوع الماضى ، عددا ممتازا لمناسبة مرور خمس وسبعين سنة على إنشائها ، وقد عنيت بإبراز تاريخ مصر فى هذه الفترة (١٨٧٦ـ١٩٥٠) ذلك التاريخ المنعكس على صفحاتها ، فهى سجل حافل ومرجع شامل لما مر بالبلاد فى تلك الحقبة من أحداث وما قام فيها من مسائل ومشكلات ، وكانت مجال الأقلام فى كل ما يهم الناس ويشغل الأذهان ، من شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ... الخ

وقد حفل العدد الممتاز ببيان النواحى المختلفة للحياة المصرية من حيث انعكاسها على صفحات الجريدة ، ونال كل شىء من عنايتها عدا الأدب ... اشتمل العدد على مختلف الشؤون ، حتى الرياضة وأبطالها ، والسباق وأسماء الخيل ، أما الحركة الأدبية وأعلامها فلم تظفر بكلمة واحدة !

ولم ذلك ؟ ألأن « الأهرام » لم تكن فى حياتهــــا الماضية مجالا للأدب ، ولم تمس صفحاتها شمسه ، أم أنها أصبحت الآن لا تعنى بالأدب ولا تحسب له حسابا ؟

أما الأول فلا ... فحياة صحيفتنا العريقة زاخرة بآثار الأدباء وقصائد الشعراء ، وقد ولى التحرير ورياسة التحرير فيها أدباء كبار ، ولا أظن أديبا من الأدباء المعروفين إلا كتب فيها . وقد خصصت فى كثير من الأحيان صفحة للأدب صالت فيها الأقلام وجالت ، وإن اختلط الحابل بها والنابل ...

ومن الطريف فى هذا الصدد ، بل من التليد ، أن الترخيص الذى صدر بإنشاء « الأهرام » سنة ١٨٩٥ تضمن ما يدل على أن الشؤون الأدبية كانت من أغراض إنشائها ، وهذا هو نص الترخيص .

« رخصت الخارجية لحضرة سليم تقلا باشا بإنشاء مطبعة تسمى الأهرام ، كائنة بجهة المنشية بالاسكندرية ، يطبع فيهـا جريدة تسمى الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية ، وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر وما يماثل ذلك وقد أمرت الخارجية محافظ الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور فى إنشـاء المطبعة المحكى عنها »

ولا شك أن الكاتب النحرير الذى كتب ذلك الترخيص كان يريد أن يذكر الأدب فى جملة ما ستعنى به الأهرام ، فعبر عن ذلك بمقامات الحريرى والصرف والنحو واللغة والحكمة والنوادر ...

هذه لمحة خاطفة عن ماضى « الأهرام » بالنسبة للحركة الأدبية التى أهملتها فى عددها الممتاز الأخير ، وهو ماض ينطق بأن الأدب كان من أهم نواحى حياتها ، لا فى الموضوعات الأدبية وحدها ، بل الأدب يتمثل كذلك أحيانا فى الأسلوب الذى تصاغ به المواد الأخرى ؛ فقد كان محرروها يتعمدون الجزالة والإتيان بالعبارات التى يعدونها من بليغ القول على حسب المفهوم العام للأدب فى عصرهم ، وكثيرا ما كانوا يأتون بالأسجاع فى العناوين مثل « أنباء الحرب والقتال فى بلاد الترنسفال » وذلك إظهارا للمقدرة الأدبية على ما كانوا يفهمونها ...

فلم يبـــق إذن إلا أن « الأهرام » الآن لا تعنى بالأدب ولا تحسب له حسابا ... ولكن إذا حق لها أن تتجرد منه فى الحاضر ، فهل يجوز لها أن تمحوه من التاريخ . . ؟

عباس خضر



الفتوة عند العرب

تأليف الأستاذ عمر الدسوقي

للأستاذ إبراهيم الوائلي

الأدب ومضة من ومضات الحياة تلألأ خلال الظلام وتبعث أضواءها في طريق الركب ليسير على هدى ووعي. والأديب هو ابن بيئته وأمته ومجتمعه، ورسالته في الحياة رسالة عامة لا تقف عند حدود المسارب الضيقة، وليست رسالة الأديب هي التي تنبع من نفسه وتعيش في نفسه فقط، سواء أكان شاعرا أم كاتبا قصاصا أم مؤلفا، وسواء أكان يستوحي الماضي البعيد أم الحاضر المشاهد، وإذا كان الإنتاج الفكري هو ما يتصل بالحياة العامة ويواكب المجتمع فإن ما عدا ذلك إنتاج عائم يطفو كما يطفو الطحلب على سطح الماء؛ حتى إذا مرت به العاصفة ذاب وتلاشى. لماذا يجب أن يكون الأديب والمفكر كذلك؟ لأننا الآن عبيد أرقاء لا نملك من أمرنا شيئا، ويجب أن نعيش أحرارا نتصرف في حياتنا وشؤوننا كما يتصرف البشر في حياتهم وشؤونهم، وعلى كل أديب عربي ومفكر عربي أن يكون في رأس القافلة ليشارك في معالجة أوضاعنا معالجة واقعية، وإلا كان أديبا تائها ومؤلفا سطحيا لا يفكر ولا يحس، أو يفكر ويحس ولكنه ضعيف الاندفاع مشلول الحركة. وكلتا الحالتين لا تؤدي إلى غاية ولا تصل إلى هدف

وإذا كان الشأن كذلك فما هي قيمة كتاب «الفتوة عند العرب»؟ وفي أي اتجاه يسير؟

قبل أن أتحدث عن الكتاب أحب أن أشير إلى صاحبه. وصاحبه هو أستاذنا عمر الدسوقي أستاذ الأدب العربي في كلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول. لقد اتصلت بالأستاذ الدسوقي عن كثب، وتحدثت إليه كثيرا وتحدث إلي كثيرا، فلمست فيه ما لم ألمسه إلا في القليل ممن عرفتهم. لمست فيه روح القومية العربية، والاعتزاز بالعرب اعتزازا يكاد يصل إلى درجة الغلو، وأحسبه على حق فيما يعتقد، فما كان العرب في ماضيهم وتاريخهم العريق أمة تافهة لا شأن لها، وإنما كانوا سادة أنفسهم، وأسياد غيرهم، ولكنهم فقدوا أهم مميزاتهم يوم أتيح للعناصر التي اندست في صفوفهم أن تتحكم وتسود، فرقدوا شر رقدة تحت مطارق العبيد والمماليك والأفاقين. حتى إذا أريد لهم التخلص من هؤلاء كانت يد أخرى تستقبل الكرة لتلقفها فإذا بالعرب يخضعون خضوع العبيد لمستعمر آخر وسادة جدد وبقايا من أولئك العبيد والمماليك والأفاقين، حتى كاد يكفر المتعلمون من العرب - الآن - بعروبتهم وتاريخهم، وحتى أشاح بعض هؤلاء المتعلمين بوجهه عن تاريخ العرب وتراثهم، مندفعا وراء الغرب في كل شيء؛ وحتى أصبحنا الآن في بلبلة فكرية وقومية نتيجة للاضطراب السياسي والشعور بالخيبة من يقظتنا الأخيرة، وليس لذلك من سبب إلا لأن الدم العربي قد كدر وتجمد، والنفس العربية الأصيلة قد خثرت وضعفت، فلم يعد ذلك الدم الفوار، ولا تلك النفس الثائرة الجامحة

بمثل هذا الشعور والإحساس يندفع الأستاذ الدسوقي إلى استيحاء الماضي البعيد ويضع كتابه «الفتوة عند العرب» فيقص علينا من جديد تاريخ ذلك العنصر العريق من زاوية واحدة لعلها أهم الزوايا لمن يريد أن يتحدث عن العرب، وهي زاوية الفتوة وما يتصل بها من مظاهر متشعبة تلتقي عند نقطة واحدة وإن تعددت من الأشكال والألوان

يقص علينا تاريخ العرب في فروسيتهم وشجاعتهم ونخوتهم وكرمهم، ويعرض علينا ألوانا من الأشخاص الذين كان لهم شأن في الحياة العربية، الجاهلية والإسلامية، وألوانا من الشعر الذي يمثل تلك الحياة في أنبل مظاهرها

ويتحدث -- بعد المقدمة التي تشير إلى الحافز على تأليف الكتاب — عن الفتوة في معناها اللغوي، وعن الفتوة في العصر

الجاهلي ، ومظاهر هذه الفتوة في الشجاعة والكرم : كرم اليد التي لا تعرف البخل وإن لم تجد شيئاً ، وكرم القلب الذي يتسع للكبير والصغير ، وكرم العقل الذي لا يعرف البلادة والتقليد . بل العقل الذي يزن ويحكم ويفكر ، ويرى العقل الذي عبد الأصنام ثم حطمها حين رأى أنها حجر لا يضر ولا ينفع . وفي حماية الضعيف : الجار والمستغيث والأسير ، والمرأة قربت أم بعدت

وحين ينتهي من العصر الجاهلي يتحدث عن العصر الإسلامي والدعوة الإسلامية ، والكفاح في سبيل هذه الدعوة ، والرجال الذين ضحوا من أجلها وزعيمهم فيها (سيد الفتيان) محمد (ص) . ولا ينسى أن يتحدث عن المرأة العربية في عنايتها بولدها وتنشئته على الفروسية والشجاعة والخلال التي يتصف بها أبوه أو خاله ، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة وشواهد من الرجز النسائي في ترقيص الفتيان

وعندما ينتهي من هذا العرض التاريخي الذي يغلب عليه طابع الحماسة والإعجاب ؛ ينتقل بنا إلى فصل آخر يكاد يكون من التاريخ المجرد وإن تخللته أحيانا لمحات من التحليل والموازنة، ينتقل بنا إلى الصوفية، فهو يمجدها حينا لأنها كانت رد فعل لحياة الترف والمجون التي انغمس فيها المسلمون أيام الدولة العباسية ، ويهاجمها حينا آخر لأنها آثرت الزهد في الحياة على الكفاح والنضال ، ثم يستعرض الفتوة عند بعض المتصوفين وشيئا من تاريخهم ، وكنت أود ألا يشير إلى بعض أعمال الصوفية، أو بالأحرى أعمال بعض الصرفية ، فإن الكتاب دروس أمليت لتمس حياة العرب في عصرهم الحاضر وتذكرهم بماضيهم التليد . ولم يكن من الهين علينا أن نعيد ما سجله بعض المؤرخين من فتن ومشاحنات استغلها وأثارها رجال السياسة الذين يريدون أن يحكموا بأية وسيلة من وسائل التفريق، معتمدين على فتاوى المعممين وأصحاب الربط والتكايا من الدراويش المتعاظمين

ولنتجاوز هذا الفصل إلى فصل آخر وهو فتوة « المترفين » وتتجلى هذه الفتوة في الصيد والرماية ، وأصحاب هذه الفتوة من أرباب الثراء والجاه ، وأبرز مظاهر هذه الفتوة في عهد زعيمها الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وكان لابد من أن يتسلل الحديث في هذا الفصل إلى الأيوبيين الذين طلب منهم الناصر أن ينتظموا في سلك فتيانه ، ثم المماليك الذين جاءوا بعدهم وما كان من شأن هؤلاء في محاربة الصليبيين نتيجة لتعلمهم الرماية والصيد ، وكأنه أراد بهذا الفصل أن يجعل من فتوة الناصر لدين الله مدرسة تخرج فيها من جاء بعده من هؤلاء ، كما كانت مدرسة النبي الكريم ، إذا كان لابد من التشبيه

وينتقل بعد هذا إلى الفروسية عند الغربيين ، ويوازن بينها وبين فتوة العرب، ويعزو أكثر مظاهرها الجيدة إلى الاقتباس من العرب أيام الحروب الصليبية وفي عهد الأندلس ، ويدعم رأيه بالأدلة المادية الكثيرة

ثم يختم الكتاب بطائفة من الصور لفتوة العرب ، وهنا ينتقل بنا من الاستعراض التاريخي إلى الأسلوب القصصي ، فيعرض لنا هذه الصور في إطار جذاب وخيال مبدع ؛ ينقلنا إلى آفاق تمتد بامتداد الصحراء العربية وما فيها من خصائص ومميزات طبعت العربي على تلك المزايا التي تحدث عنها الكتاب في بدايته . ولا يسعني أن أتحدث عن هذه الصور في كلمة قصيرة مثل هذه ، بل أدعها لمن يريد أن يستمتع بها ويتملاها كما أتيح لي ذلك

هذا هو الكتاب بوصفه الوجيز، وهو وصف لا أظنه يستطيع أن يتحدث كما يجب عن (٤٧٢) صفحة دعمت بالمصادر الكثيرة من عربي وأجنبي ومجلات ، فيها وفرة الاطلاع فجاءت تشق طريقها من أعماق التاريخ إلى حيث تقف القافلة الآن

فهل نستطيع بعد هذا أن نقول : إن الكتاب من العرب في أقدم عصورهم وإلى العرب في عصرهم الحاضر ؟ وهل نستطيع بعد هذا أن نقول : إن الكتاب درس من دروس القومية العربية لمن يهتمون بالقومية ؟ أظننا نستطيع أن نقول ذلك عندما نتجاوز تلك الهوة التي فصلت بين قمتين من قمم الكتاب ، وهي هوة الصوفية ، وقد اندست هذه الهوة تفرض نفسها بين القمتين بإيحاء من المنهج التاريخي حسب ، كما اندست في حياة العرب فكانت أكبر مخدر تسمم به ذلك الجسم الفارغ السليم

ابراهيم الوائلي

ديوان على بن الجهم

جمع وتحقيق العلامة خليل مردم بك

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

تفضل صاحب المعالى شاعر الشام الأستاذ الجليل خليل مردم بك سكرتير المجمع اللغوى بدمشق فأهدى إلى نسخة من ديوان على بن الجهم الذى بذل جهداً مشكورا فى جمعه وشرحه وتحقيقه، ونسخة أخرى من ديوان الشاعر السورى الرقيق الملقب « بالوأواء الدمشق » الذى قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور الفاضل سامى الدهان. وكلا الديوانين كان آية فى إناقة الطبع ودقة الشرح.. وقد صرفت — رغم مشاكلى — وقتاً غير قصير حتى قتلتهما دراسة وتمحيصا، ويسرنى أن أقدم فى هذه الكلمة المتواضعة رأيى فى الديوان الأول لقراء الرسالة الغراء هنا وهناك، على أن أعود إلى الديوان الآخر فى فرصة أخرى

يقع ديوان على بن الجهم فى ٢٢٣ صفحة من القطع الكبير وتقع الدراسة التى كتبها الأستاذ مردم بك عن الشاعر فى ٤٧ صفحة. وهى دراسة شاملة جامعة، تطرق فيها الشارح إلى عصر الشاعر ونشأته وشعره، ودراسته والظروف التى أحاطت به حتى مقتله ووفاته. وليس لى اعتراض على كل ما قاله الأستاذ مردم بك، إلا إن الذى لفت نظرى فى هذه الدراسة الرواية التالية..

قال الشارح فى الصفحة « ٥ » من المقدمة « ولما بلغ السن التى يذهب بها الصغار إلى الكتاب، بدأ يذهب كل يوم من داره فى شارع « دجيل » ببغداد إلى كتاب فى الحى يجمع بين صغار الصبيان والبنات. وكان على حسن الوجه ذكى الفؤاد كثير النشاط. ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته، فكان يسمر البيت وثبا وقفزا ولعبا وضجيجا، حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته، فسأل أبوه معلم الكتاب يوما أن يحبسه فى الكتاب، فلما رأى على رفاقه ينصرفون إلى دورهم؛ وهو محبوس، ضاق صدره. فأخذ لوحته وكتب فيها إلى أمه

يا أمتا أفديك من أم أشكو إليك فظاظة « الجهم »
قد سرح الصبيان كلهمو وبقيت محصورا بلا جرم

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان. قال على « وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمى، فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة حتى أطلقه »

ومن حوادثه فى الكتاب أن أخذ لوحه يوما وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه

ماذا تقولين فيمن شفه سهر من جهد حبك حتى صار حيرانا

وأن البنت الصغيرة أخذت وكتبت تجيبه.

إذا رأينا محبا قد أضر به جهد الصبابة أوليناه إحسانا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جدا، ولعله كان دون عشر سنوات من عمره»

فهذه الرواية التى يوردها الأستاذ مردم بك نقلا عن طبقات الشعراء لابن المعتز والأغانى ومختصر طبقات الحنابلة أشك فى صحتها بالرغم من المصادر التاريخية التى اعتمدعليها الشارح، وشكى يقع على سن الشاعر حين نظمه الأبيات المتقدمة، وهى العشر سنوات. إذ أن من المحال أن يستطيع طفل دون البلوغ أن يقول شعرا منظوما موزونا فيه معنى بصياغة عالية.. ومهما يكن ذلك الطفل ذكيا فلا يتسنى له الإجادة فى تلك السن المبكرة، لأن الشعر موهبة وصنعة تحتاج إلى حذق ومران. ولدى شواهد كثيرة من أن فحول الشعراء ما نظموا الشعر الجيد قبل العشرين أبدا.. وقبل الاطلاع على نفائس الشعر القديم وحفظه. لأن حفظ الشعر الجيد يربى الملكة ويقوى القابلية ويعصم الناظم من الاختلاف فى وزن الشعر، وقد كنت أود لو أن معالى الأستاذ حين إيراده هذه الرواية أن يعلق عليها بالشك، رغم ورودها فى المصادر الآنفة الذكر.

ولا أظن أن هذا الاعتراض البسيط، يحط من قيمة الديوان

أو من الجهد الجبار الذى بذله الشارح حين مراجعته لعشرات الكتب لتحقيق بيت أو إثبات كلمة . فهو جهد يستحق عليه كل تقدير وإجلال . كما أننى معه عند شكه فى نسبة القصيدة المنشورة فى صفحة ٤٨ من الديوان والتى مطلعها .

سل الدمع عن عيني وعن جسدي المضنى
وهل لقيت عيناى بعدكو غمضا

إلى على بن الجهم لاختلافها عن أسلوبه ونفسه ، وخصوصا لما فيها من ذكر القيروان كما جاء

وإنى أرى بالقيروان أحيتى
وأعتاض من ضنك منيت به خفضا

ومدحه لأبي مروان

بحبل أبى مروان أعلقت عروتى
وحسبى إعلاق صريح العلا محضا

ولا أشك مثله أنها موضوعة عن لسانه، لأن القارئ لا يشعر فيها بالعاطفة الجياشة التى يشعر بها عادة عند قراءته شعر ابن الجهم وخصوصا قوله فيها

أقول وقد عيل اصطبارى من النوى
وأصبح دمع العين للشوق مرفضا
كما قال قيس حين ضاق من الهوى
فلم يستطع فى الحب بسطا ولا قبضا
« كأن بـــلاد الله حلقة خاتم
على فما تزداد طولا ولا عرضا »

فهذا شعر صناعة ، وهو أشبه ما يكون بشعر شعراء الفترة المظلمة ، كما أننى مثله فى أن القطعة الأخيرة المنشورة فى صفحة (١٩٦) للجاحظ لا لعلى بن الجهم وها هى

يا نورة الهجر جلوت الصفا لما بدت لى ليفة الصد
يا مئزر الأسقام حتى متى تنقع فى حوض من الجهد
أوقد أتون الوصل لى مرة منك بز نبيل من الود
فالبين قد أوقد حمامه قد هاج قلبي مسلخ الوجد
أخـدخطمى الصفا والهوى نخالة الناقض للعهــد

وهو أشبه ما يكون بشعر أصحاب الحمامات منه بشعر شاعر له منزلة عالية لدى الملوك كعلى بن الجهم .

هذه كلمة بسيطة أكتبها عن هذا الديوان الذى لولا جهود مردم بك لم يحظ قراء العربية به . إذ أن شعر ابن الجهم لم يجمع قبل الآن؛ ولولا الأستاذ خليل ما أتيح له أن يكون بين أيدينا، وخصوصا وأن أكثر قراء العربية لم يقرأوا من شعره إلا بعض الأبيات منثورة فى بطون الكتب، منها القصيدة المشهورة الملحقة بآخر الديوان والتى مطلعها

عيـون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لى الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمرا على جمر

وهى قصيدة عامرة يذكرنى أسلوبها القصصى الممتع بأسلوب عمر بن أبى ربيعة فى أقاصيصه الشعرية، ولعله نظمها تأثرا به حيث يقول

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها
لجارتها : ما أولع الحب بالحر
فقالت لها الأخرى فما لصديقنا
معنى وهل فى قتله لك من عذر

الخ الحديث بينه وبين صاحبته وجارتها حتى يتخلص منها إلى مدح المتوكل

ولكن إحسان الخليفـــة جعفر
دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر

هذا ماعنانى كتابته عن هذا الديوان، شاكرا للعلامة مردم بك هديته الثالية، ومقدرا الجهود التى يبذلها أعضاء المجمع العلمى العربى فى سبيل إحياء التراث العربى ، وعاتبا أشد العتب على صديق الأستاذ الكبير محمد بهجت الأثرى سكرتير المجمع العلمى العراقى على الكسل الذى لازمه ولازم أعضاءه ، فالمجمع وقد مرت على تأسيسه سنوات لم يحقق ولم يطبع كتابا يستحق الذكر، مع أن ميزانيته لا تقل من أى مجمع عربى آخر . . والذنب فى كل ذلك يعود إلى الانتخاب الخاطئ الذى جرى بين أعضائه

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

البريد الأدبي

حول تحقيق مسألة

تفضل أستاذنا الكبير الزيات فنوه – مشكورا – بكتابنا (الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام) في عدد سابق من الرسالة الغراء. ولكنه لاحظ بعض الملاحظات فيما رجعنا إليه من كتابه (في أصول الأدب). والحق أننا لا نجحد فضله في هذا الكتاب وفي كتابه الآخر (تاريخ الأدب العربي)، وليس أدل على هذا من أننا أشرنا إليهما في كل مناسبة من كتابنا، كما لا ننكر أثره في الأدب العربي بوجه عام. وإنما كان النهج الدراسي الذي لاحظناه في تأليفنا يقتضينا الاقتصار في بعض الموضوعات على التلخيص أو الإشارة، دون تغلغل في التفصيل أو تعمق في التحليل، وخاصة بعض الآراء الفرضية كالعلاقة بين أدب وآدم. أما موضوع (العوامل المؤثرة في الأدب) فقد كان هدفنا أن نرشد الطلاب الناشئين إلى كل مصدر، وندلهم على كل مرجع، متقدم أو متأخر. وقد كتب في هذا الموضوع الأستاذ أحمد الشايب، وإن كنا نعلم أنه رجع في هذا الموضوع – كما رجع في غيره – إلى كاتبه الأول (الزيات)، كما كتب فيه الدكتور أحمد ضيف في مجلة دار العلوم ابريل سنة ١٩٣٧؛ أما كتاب (التوجيه الأدبي) فعذرنا في الإشارة إليه كمصدر آخر، هو أننا لم نكن نعلم ماذكره أستاذنا الكبير الزيات بك من اعتماد الدكتور عبد الوهاب عزام على محاضرته فيه

فالمسألة إذن مسألة عرض مصادر، وعلى الباحث المستقصي أن يعرف الفضل لصاحبه؛ فليس في ذكر هذه المصادر بجانب كتاب الأستاذ (الزيات) بك مجافاة لإنصافه، أو إنكار لسبقه، أو جحود لفضله. فحسبنا دليلا على حسن النية أننا لم نغفل التنويه بصاحب رأي، ولم نهمل الإشارة إلى مرجع، ولم نجحد مصدرا رجعنا إليه

أما أستاذنا وأستاذ الأدباء (الزيات)، فإنا نكن له من الإجلال، ونعرف له من الفضل على الأدب ما يسمو على كل شبهة، ويقره كل أديب

حسين جاد – عبد المنعم خفاجي
عبد الحميد المسلوت

حول النثر والشعر

أود أن أشير إشارة عابرة إلى تعليق الرسالة الزاهرة في تخريج أسبقية النثر على ما رأته الآراء

فقد قرأت « لابن رشيق » في العمدة كلاماً لا يخلو من جمال وتحقيق حول نشأة الشعر من حيث يقول:

« وكان الكلام كله منثورا؛ فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم؛ فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام؛ فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به أي فطنوا . . . »

ووجه الجمال في هذا القول: أنه قال « الكلام » على وجه الإطلاق؛ فلم يصرف القصد إلى « النثر الفني » لأن العرب لم تكن أمة كتابة، ولغة التخاطب كانت موحدة الأداء مع اختلاف اللهجات، والنثور المعتمد على التأني والابتداع لا يتم إلا إذا تمت الملكة التعبيرية التي تجمع بين طرفي الإيجاز والإطناب ومراعاة مقتضى الحال، واختيار الألفاظ، والبراعة في التصوير والتحليل، فالتعليق الحكيم الموجز من الرسالة إنما هو تنصيص على حقيقة « الأسلوب الفني » الذي يطلق عليه « النثر » القسيم للشعر.

أما أسبقية النثر على اعتبار إرساله من دون الاعتبارات الفنية فأمر مفروغ من اعتباره، لأن النثر مطلق، والشعر مقيد، والمطلق في كل شيء مقدم على المقيد. على أن « ابن رشيق » يقول: « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون؛ فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره » . والتعبير بقوله: « تكلمت » يؤيد ما ذهبت



٢ – قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

مهداة إلى حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الوهاب بك عزام

الفصل الثاني

خاتمة سلطان

لله ما أروع الدهر، وما أكثر عجائبه، وما أقسى ما تقدم الأيام من عظات وعبر، وما تحتوى عليه من صروف وغير

والدهر آونة يصفو لصاحبه   حتى يعود فيحسو ماءه كدرا
يعطى ويمنح ما شاءت عوارفه   ويسلب المرء كرها كل ما ادخرا
العادل الملك المزهى بدولته   كبا به الملك حتى عاد فانحدرا
سعى إليه ولكن سعى مؤتمن   ولم يقدر لعقبى دهره الحذرا

أيها الملك العادل طومان باى! ها هى ذى دولتك تولى، وها هى ذى دولة أخرى تقبل، وها هو ذا سلطان جديد يحتل عرشك، ويجلس فوق كرسيك. فيبذل ويهب؛ ويرقى ويؤمر، وينهى ويأمر، وينفى ويعفو، ويوطد دعائم سلطنته بالحزم والعزم، وبالبر والوعد الحسن. يعاونه فى ذلك كثير من الناقمين منك، الحاسدين لك، الحاقدين عليك، الذين ناصبتهم وقت زهوك، عداء استحكمت حلقاته، وجفاء زاد أمره واستشرى خطره

ولقد أملى لك جهلك، وضعف بصرك بالأمور، أن تبطش بهم رجلا فى إثر رجل، وتقتلهم أميرا بعد أمير، وتفتك بهم صديقا فى أعقاب صديق، مع أنهم جنود عرشك، وحاملو كرسيك، ومؤسسو سلطانك، ومدعمو دولتك. ولكنك جعلت مسرح سلطنتك مذبحا تنحر فيه فحول رجالك، بدل أن تلتمس منهم العون، وتسترق قلوبهم بالود

هالهم الأمر، ورأوا بأعينهم قرب مصارعهم، وأنهم على وشك أن يلقوا منيتهم بين يديك، فجمعهم الخطر المشترك؛ وآثروا اطراح أطماعهم ودخلهم، والضغائن الفاشية بينهم، لكى يقفوا أمامك صفا واحدا شديد المرة، حصين الثغرة. وقاوموك فهزموك وأسلمت نفسك للفرار...

فاذا أفادك بطشك وصلفك، وأجداك جورك وعسفك، لكن تمكن منك الداء، حتى نكلت بالأصفياء

وظننت دهرك لا يجيئك غدره   والصفو من كلتا يديه متاح
فمضى وخلفك المعذب قلبه   ولكل ليل بكرة وصباح

نصرك الأتابكى « قصروه »، وأصفى لك وده، ووهب لك مكنون حبه، ونخل لك مخزون رأيه، وتقدم أمام جنودك إلى باب السلسلة وسلم المدرج بالقلعة، إبان نزاعك مع سلطانك وسلطان البلاد من قبلك الأشرف جانبلاط، وقتما نقضت عهده، وشققت عصا طاعته، وطمعت فى الملك دونه، فتقدم صديقك قصروه يعاونك وأنت فى شدتك، ويؤازرك وأنت فى ضيقك، ودلف إلى القلعة وكان بها جانبلاط معتصما، فحطم بابها وسلمها،

إليه الرسالة من أن القصد لغة التخاطب باللسان، لا لغة الإبداع بالقلم، أما إعتبار الحفظ، فإن موسيقى الشعر تنقم الإحساس فتستقر الألفاظ فى واعية الشعور ولا ينالها النسيان كالنثر!

(بور سعيد)   أحمد عبد اللطيف بدر
المدرس بالمدرسة الثانوية

حول طبقات الحنابلة والمستشرق لاووست

تفضلت الرسالة فنشرت لى كلمة حول هذا الكتاب سقط منها فى العنوان اسم المستشرق لاووست، زميل الدكتور الدهان فى تحقيق هذا الكتاب

وإنى إذ أسعى لاستدراك هذا فى هذه الوجزة انتهزها فرصة سانحة لأكرر الشكر للمستشرق لاووست مثنيا، الثناء كله على هذا الجهد الخالد القيم

ابراهيم الابيارى

واقتحم رحابها ، وهيأ لك بذلك أسباب النصر ، ومهد لك السبيل إلى الملك . وكان وقت جهادك إلى جانبك ، شديد التواضع جم المروءة ، نزل به حب الجميل وإسداء المعروف ، إلى مالم ينزل إليه أمير . فكان ينفق على حفر الخنادق من ماله ، ويعاون على إنجاز حفرها بيده ، ويحمل الأتربة على كتفه ورأسه ، حفزاً لهمم العمال ، وحثا لحماسة الجنود ، وضربا للأمثال ...

فماذا كان نصيبه منك ؟ حقا لقد خلعت عليه الأتابكية — قيادة الجند — أرفع مناصب الدولة بعد السلطنة ، وعظمته ، ولكن تعظيم الخادع الماكر . حتى إذا اطمأننت إلى نفسك ، ووثقت بحولك وطولك ، بطشت به بطشة الجبار الفاجر . وهو أكثر ما يكون ثقة بك ، واطمئنانا إليك ، واعتمادا عليك ، وبعداً عن التفكير في خيانتك . فوكلت به من قتله

وكذلك فعلت بالسلطان جانبلاط ، بعد ما أمنته واستسلم إليك ، ووعدته بأن تضفي عليه أسباب الأمن والحرية . فماذا كانت عاقبته وعاقبة وثوقه بك ؟ نفيته إلى الأسكندرية ، ووصيت به من خنقه في سجونها ، دون جريرة إلا ضعفه عن مناوأتك ، وانفضاض الطامعين من حوله إليك

ومن قبل هذا بطشت بالظاهر قونصوه ، وغدرت بالناصر محمد بن عثمان ، ونكلت بأرملة السلطان المستسلم جانبلاط ، ولم ترع لأنوثتها حرمة، ولا لكبر سنها مكانة . مع أنها سرية ملك وزوجة ملك ، وأم ملك ، وأخت ملك ... فأرهقتها بما طلبت منها ، وأنقذت نفسها من كيدك ، بآلاف من الدنانير قدمتها إليك . . .

ألا فارقب الدهر وهو يدبر للقصاص ... وستلقى جزاءك .. لا مناص ...

* * *

قبل عيد الفطر عام ٩٠٦ هـ ، وفي إحدى الدور النائية في أطراف القاهرة، اجتمع عدد من أمراء السلطنة، يتزعمهم الأميران: قيت الرجبي ، ومصرباي. وكان من بينهم طقطباي ، وتمرباي ، وكرتباي ، وخشكلدي البيسقي ، وغيرهم وغيرهم ، ممن ينقمون على الملك العادل ، وممن هددهم بالقبض عليهم ونفيهم ...

قعدوا يتذاكرون بينهم فيما صارت إليه أحوال هذا السلطان، ويقلبون وجوه الرأي في تصرفاته ومواقفه إزاءهم، واشتطاطه في معاملتهم ، واجترائه في العدوان عليهم ...

قال أحدهم : لقد تفاقم شر هذا الطاغية ، وأغرم بسفك الدماء وإهدار الأبرياء ، حرصا على دولته ، وزعما منه أننا خطر عليها . وقد أصبح بطشه قريبا منا ... نحن الأحياء ...

قال آخر : وإن لنا فيما اجترمه في جانب الأتابكي قصروه صديقه لعبرة ... والعاقل من اعتبر بغيره ، وإننا إذا أرخينا له في الزمام ، ولم نهنه من غربه، ونحد من غضبه ، تطاير شرره حتى نحترق به ...

قال آخر : ألا تقدمون له النصيحة خالصة ، وتطلبون إليه في صراحة وحزم أن يكف عن سيئاته ، ويقلع عن خطيئاته ... أو لكم مقترح آخر ؟

قال آخر : إن مثله لا ينقاد للنصيحة . ولا يأمن ناصحه من مغبة غدره . فقد التاثت نفسه ، واختلط حب الفتك بدمه ولحمه ، وبلغ به سوء الظن مبلغا وخيما ... ومثله مثل الظامئ الصادي ، إذا شرب من ماء البحر ، فلا نقع غلة ، ولا روى ظمأ، بل ازداد أوامه ، واشتد هيامه ...

قال آخر : إذاً . لا بد من تدبير أمر حربه . . ولا بد من إزالته من الطريق ! فهل لدينا من القوة ما يكفي لنجاح هذه التجربة ... ؟ وأنتم تعلمون أنه نفى جماعة منا إلى قوص ، منهم جان بردي الغزالي ، وقرقماس قرا ، وقايتباي . وهم من القوة والشجاعة والدربة ، والرأي ، بالمكان الذي تعلمون ... لقد قيل إن بعضهم فقد في الطريق إلى منفاه ... ولم نظفر بعد بخبر عنهم، لذلك ترون أننا في حاجة قصوى إلى إعداد العدة ولم الشمل وجمع العدد الكبير المستطاع إلى جانبنا ... ثم ... ثم علينا أن نترى المترددين والوجلين حتى ينحازوا إلى صفوفنا ...

إن العادل لا يزال لديه جمع كبير من المماليك السلطانية ، ومن المماليك « العادلية » وهم مماليكه الأخصاء، وحوله عدد آخر من الأمراء الذين اصطنعهم بالمنصب والمال والهدية ، ومنهم الأمير طراباي الشريفي رأس النوبة . إني أعتقد أن طراباي يبصبص بذنبه لمنصب الأتابكية . . وقد وكل السلطان إليه أن يقوم

بمهامها ريثما يعين لها أميرا . ولعله يكون طراباى نفسه ...

قال آخر : لقد بلغني أن الأتابكية ستكون من نصيب الأمير قانى بردى الدوادار الثانى ... فهو المنافس الوحيد الخطر لطراباى .. فهو من عصبة العادل وخواصه ، وأشعر أن طراباى بدأ يتململ من العادل بسبب إيثاره لقانى بردى عليه . . ومن هنا يمكن اصطناعه ؛ وتستطاع استمالته إلى صفوفنا

قال آخر : لو كان أمر طراباى كما تقول ، لما جمع جنده وأعوانه أمس ، واصطحب عددا من الأمراء الطامعين أمثال : أنس باى ، وبيبرس البهلوان ؛ ومعهم الوالى والشرطة . لقد طاف هؤلاء جميعا بعد عشاء أمس ، يفتشون المنازل ؛ ويفجعون سكانها ، ويغلظون القول للناس ، بحثا عنا وطمعا فى كشفنا والقبض علينا وتسليمنا لهذا السفاح . . ولو تم الأمر على ما يهوى طراباى لتم هلاكنا ...

قال آخر : إن طراباى فى موقفه هذا ، يمسك العصا من وسطها ، فهو يقوم بمهام منصبه فى ظاهر الأمر ، حتى لا يسرع إليه العادل فيتهمه ويقضى عليه . والعادل يأخذ بالظنة ويستمع للفرية ... وبذلك ينجو طراباى من كيده وغدره ، فى حين أنه حانق عليه لأنه على وشك أن يختص الأمير قانى بردى بمنصب الأتابكية دونه . ومن هنا نستطيع أن ندخل إليه من هذه الثغرة فنوسع فيها ، حتى نحمله إلى الانضمام لجماعتنا . وليس ببعيد أن تثور ظنون العادل ضده بمدفرار الأتابكية من يديه ، فيتهمه ويبطش به . فإذا لم يسرع طراباى منذ الآن باختيارنا والانحياز إلينا ، فقد تضيع الفرصة منه لدى الطرفين ، ثم لا يجد من ينهض لمونته حينما يقف وحده فى الميدان . أما الآن فالفرصة موانية له .. اتركونى أتصل به وأدبر لكم أمره

قال آخر : لا تنسوا أيها الرفاق أن تضموا فى حسابكم مماليك جانبلاط ، ومماليك قصروه . فإن سخطهم الشديد على العادل بسبب فتكه بسيديهم ، نستطيع استغلاله لقضيتنا . فاعملوا على ضم صفوفهم إلى صفوفنا . وادعوا إلينا كل نافر من ظلم العادل وجوره ..

قال آخر : إذا انصرفتم أيها الرفاق ، فليكن كل منكم على حذر ، وليكتم الأمر جهده ، حتى يتم تدبير جميع أطرافه . وقد يبعث العادل فى طلب أحدنا – ومناسبات الاستدعاء كثيرة فى هذه الأيام – ثم يقبض عليه ويبطش به . فلنكن إذا على حذر ..

انفض هذا المؤتمر ، وانصرف أعضاؤه إلى تدبير الأمر حسبما اتفقوا . بينما كان السلطان العادل قد أهمه أمر المختفين من الأمراء ، وأثقل على الناس بالبحث عنهم . وساءت ظنونه فى عدد آخر من الأمراء والمماليك . فقعد يدبر وسيلة للبطش بهم والقضاء عليهم

وفى أحد الأيام كان القراء يختمون البخارى فى القلعة ، وبهذه المناسبة أقيم حفل عظيم ازدان بمن فيه من العلية والرؤساء ، ومنهم قضاة الشرع وعدد من الأمراء

حينذاك أرسل الملك العادل فى طلب الأمير قانصوه الغورى والأمير قيت الرجبى ، ليتم بهما عقد الحفل ونظامه . فلم يلبيا الدعوة ، وأحسا بما يكمن فيها من الغدر ، وشعرا أن الفرصة حانت للصراع

أسرع الغورى وقيت إلى الاجتماع بأعوانهما من أمراء وجنود ، وأذيع بينهم جميعا أن السلطان العادل قد اختار فرصة العيد للتنكيل بهم جميعـــا . فليدافع كل فرد منهم عن حياته ضد المعتدى الأثيم

ثارت ثائرتهم ، وتجمعت أحشادهم ، ووفد كل أمير بخاصته من جنده

وفى يوم الأحد آخر رمضان ؛ شهروا سيوفهم ، وشرعوا رماحهم ؛ ولبسوا دروعهم ؛ وركبوا جيادهم ؛ واستعدوا للنزال

وقد انحاز إلى جانبهم جملة من الناقمين ، وعدد غير قليل من الأمراء الهاربين والمختفين . وزحفوا إلى القلعة وفيها العادل ..

وأهاب العادل بأمرائه وجنوده أن يجتمعوا بباب السلسلة ، فاجتمع عدد قليل منهم الأمير طراباى الشريفى ، وأنس باى ، وقرقماس ، ومعهم جملة من المماليك السلطانية . فوقع بين الفريقين صدام يسير ثم انحاز كل عن غريمه . .

فى ذلك الحين كان الأمير طراباى قد استجمع فؤاده ، وعملت الدسيسة فى نفسه عملها . . ففر من لدن العادل ومعه جمع من الأمراء ، فتبعهم عدد من الجنود فارين إليهم ، وذلك عند الغروب

أسقط فى يدى العادل وأيقن أنه مغلوب لا محالة ، وأن مصيره دنا . فرأى أن يودع عرشا لم يجلس عليه إلا قرابة ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وعينه باكية ونفسه والهة . ورأى أن ينجو بجلده فى طى الليل ، وأن يختفى عند بعض خاصته وخلصانه ، حتى

لا يعرقه أعداؤه إربا إربا .. فنزل من القلعة والظلام يستره، يتحسس طريقه متنكرا كأوضع نكرة فى رعيته، وأصبح حسبه من الملك أن يملك إهابه

أما قيت الرجبى ومن معه فقد دهموا القلعة بعد قليل، وملكوا زمام الأمر فيها، ولما علم الجند فرار العادل استباحوا لأنفسهم الهجوم على مخازن الميرة والسلاح والاصطبلات السلطانية، فنهبوا منها الشئ الكثير

أخذ الأمراء يتشاورون توا فى تعيين سلطان جديد. وبعد لأى تم اختيار الأمير قانصوه الغورى – على نحو ما وصفنا – وتمت بيعته فى صبيحة عيد الفطر، ومن ثم سار موكبه، ونعم القاهريون بمرآه..

استوى الغورى على عرش البلاد، وتسلم مقاليد السلطنة، وشغل زمنا بمواكبه، وبالخلع والمناصب التى أخذ يوزعها على أنصاره، تهدئة للخواطر، وتسكينا للفتن

غير أنه وأعوانه من الأمراء، كانوا ينامون على جمر الغضا، ويتقلبون على فراش القلق والحيرة والحذر. ويعتقدون أن العادل مادام على قيد الحياة، فهو خطر دائم جاثم يهدد سلطتهم وحياتهم

وفى يوم، التأم شمل الأمراء عند سلطانهم الغورى، وفيهم قيت الرجبى، وقد صار أتابكيا، ومصرباى الدوادار، وطراباى رأس النوبة، وجان برى الغزالى المحتسب، ومعهم والى القاهرة وآخرون

فوجه السلطان الغورى حديثه إلى أتابكية قيت، وقال:

– السلطان: أيها الأمير الكبير! ألم يأن بعد للجند الثائرين أن يثوبوا إلى رشدهم، ويكفوا عن غلوائهم، ويرجحوا جانب العقل والحزم على الطمع والفتنة؟ إن الخزانة والحواصل السلطانية لا تستطيع الآن أن تفى بجميع ما يطلبون. ألا ينتظرون حتى تستقر الأمور، وتهدأ الأحوال ... وحتى تشحذ الهمة ونعيد النظر فى وسائل تدبير المال؟ ثم نجيبهم إلى ما يطلبون

وإننى فى الوقت الذى يجتمع فيه المال والطعام والكسى لدى لن أدخر وسعا فى الإغداق والبر، ولن أقصر فى الوفاء بالرواتب، ولن أتقاعد عن التعويض عما فات

– الأتابكى قيت: إذا بذل لهم مولانا السلطان وعده الكريم وضغطنا نحن الأمراء عليهم باللين والقول الحسن فسيكفون حتما عن ثورتهم. وأعتقد أنهم يدينون المقام الشريف بالطاعة والولاء، أما نحن فسنبذل قصارى جهدنا فى سبيل تهدئة الفتنة محافظة على الخواطر السلطانية الشريفة

السلطان: أنت تعلم أيها الأمير – أن أمامنا مشكلة كبرى لم تحل إلى اليوم. وقد انصرم شهر شوال ولم نضع لها حلا. تلك هى مشكلة اختفاء العادل ... ينبغى أن يؤتى به إلى هنا حيا كان أو ميتا. ولعل الماكر الخبيث له ضلع فى ثورة الجنود وفتنتهم وتحريضهم على طلب المتأخر من أعطياتهم ورواتبهم

– الأمير مصرباى: أجل يا مولانا! إن للعادل أعوانا وأنصارا يعمل معهم فى الخفاء، ويدبر الأمر للعودة إلى السلطنة بعد أن انتزعت منه انتزاعا. ولكن هيهات ...

إنه يجتمع بهؤلاء الأعوان والأنصار فى ظلام الليل الدامس ويسودون سطورا حاضة على الثورة، ويبذلون فيها الوعود السخية للجند، وينثر عليهم دراهمه ودنانيره شفاها، ربما يعود ... ويهب لكل واحد منهم مائتى دينار، وفرسا مطهمة. ويتوب إليهم مما جنته يداه. ويعدهم بأنه لن يعود فيهم إلى سيرته الأولى، وسيرعى العدالة حق الرعاية، ويدفع الرواتب، ويجزل العطاء. ويفصل فى الأمور برأيهم ...

– السلطان: أمر مدهش، وأخبار عجيبة ... من أنى لك هذه المعلومات أيها الأمير مصرباى؟ وكيف يصمت والى القاهرة على هذه الفتن، ولا يبحث عن مصدرها ويبطش به بطشة نكراء..؟

الوالى: إن ما يقوله الأمير مصرباى صحيح يا مولانا – فقد عثرنا بالقبو عند سوق السلاح على أوراق مكتوبة بهذا المعنى، معلقة على الجدران، رجاء أن يقرأها المارة من الجند، فيكون لها أثرها فى نفوسهم ... ولكنا نزعناها سراعا، وأخذنا طريقنا إلى البحث عن مصدرها

– السلطان: مصدرها؟ عجبا! إن مصدرها معروف لا حاجة إلى تبيينه ... إنه العادل المخلوع بلا شك. فلماذا تقصر فى البحث عنه إلى اليوم؟ ومن العار أيها الوالى أن تتهاون فى القبض عليه إلى الآن. فلا بد من الوصول إليه بأى ثمن..

طراباى: الواقع يا مولانا أننا لم نقصر فى البحث عن العادل، طفت القاهرة مع الوالى وشرطته، ودهمنا منازل كثيرين من

أصدقائه ، وهجم الوالى على بيت قاضى قضاة الحنفية برهان الدين الكركى ، وهو من خاصة العادل وخلصائه . ثم آل أمره إلى القبض عليه ، فحبس فى دار الأتابكى قيت ، وقد سمعنا أن العادل أودع لدى هذا القاضى مالا ، غير أن مولانا السلطان قد أمر بالإفراج عنه . ثم دهمنا أمس منزل سيدى على بن السلطان المؤيد أحمد ، وقد قيل لنا إن العادل يختبئ عنده ، ولكننا لم نعثر له على أثر ، وفتشنا جملة من المنازل وعدداً من الزوايا والأماكن ولا نزال نجد فى البحث عنه فى كل مكان ، وسنعثر عليه بعون الله ، وبفضل رضا مولانا السلطان

السلطان : بارك الله فيك أيها الأمير طراباى ، لا ننسى لك أنك كنت فى مقدمة الأسباب التى أدت إلى هزيمة العادل ، ولنا الأمل فى أن يتم مصرعه على يديك ، أو على يدى الأمير مصرباى

مصرباى : إذا أذن مولانا السلطان فأطلق لى عنان العمل كما أشتهى ، فقد أوفق فى العثور على الضالة ، وأنهى إلى مقره الشريف خاتمة هذا الطاغية

السلطان : إنك مطلق الحرية، تصرف فى أمره، وافعل ما تشاء

انفض الجمع . وكان اختفاء العادل حديث أهل القاهرة طول شهر شوال ، لم يهدأ لهم فيه لسان ولا سكن خاطر . ومما أثار نائرة الحديث ، ما كان يقوم به الوالى وشرطته ، وغيره من الأمراء والجند، من دهم البيوت ومفاجأة أهلها بحثا عنه ، والأمراء فيما بين ذلك لا يأمنون المسير إلا بين رجال من حرسهم يحيطون بهم، ولا يطيب لهم رقاد إلا على ريبة وخوف وهكذا عاش الجميع عيش قلق وهم ، شهرا وبعض شهر

وأطلق الأمير مصرباى عيونه وأرصاده يتسقطون أخبار العادل . فترامى إليه أن العادل يجتمع مع خاصته ليلا ، ويتوارى عنهم نهارا ، ولا يعرف مقره أحد من أعوانه . وأن ممن يجتمع به جانى بك شاد الشراب خاناه ، وجانى بك الشامى

وكان جانى بك الشامى يسكن على مقربة من دار الأمير مصرباى . فبعث الأمير إليه وإلى رفيقه ، وسألهما عن العادل ومكانه ، فأنكروا معرفة مكانه والاتصال به . فشدد الأمير عليهما النكير ، وهددهما بالعذاب الأليم حتى أيقنا بالهلاك . فلما رأى الخوف قد استقر فى نفسيهما ، ونطقت بالهلع عيونهما لان لهما فى القول ، وبذل لهما الوعد باللقب والمال والجاه . ولمح لهما أن السلطان سيعرف لهما يدهما فيرقيهما إلى الصف الأول من صفوف أمرائه . وهكذا جعلهما بين خوف ورجاء؛ خوف لا يستطيعان دفع شره ، ورجاء هما أحوج إلى خيره وبره

حينئذ اعترفا لمصرباى بأنهما يجتمعان بالعادل بين الفينة والفينة . فقال لهما مصرباى : إننى أعتبركما صديقين مخلصين ، وعونا للسلطان على عدوه . فلنضع معا خطة حكيمة ، ولنحكم الشباك حتى لا يفلت منها الصيد

فقالا له : اقترح ونحن نطيع وننفذ

فقال مصرباى : زينا للعادل أنكما وأعوانكما تدبرون له أمر العودة إلى السلطنة ، وأن كثيراً من الجند قد انضم إليكم، وأن الفتنة ضد السلطان الغورى قد زاد ضرامها ، وأن المنشورات الثورية التى تذيعونها آتت أكلها ، وأن الجنود على وشك إعلان السلطان بالعصيان والقتال ، وهم فى حاجة إلى قيادته ...

ثم ليأت العادل إلى دار جانى بك الشامى عشاء فى ليلة نتفق عليها ... ثم خذوا فى الطعام والشراب إلى هدأة من الليل، وألقوا فى روعه أن ينتقل إلى دار الأتابكى جرباش كرت ، المجاورة لدار جانى بك ، وبها سرداب سرى ينفذ إلى دارى ... فيزحف مع خاصته من هذا السرداب حتى يصل إلى ، فيقتلنى ... ومن ثم يطيب له الزحف بجموعه المنتظرة على القلعة فيملكها ... ثم اتركانى أدبر بقية أمره ..

انصرف الرجلان . وفى عشاء الإثنين ١٣ من ذى القعدة ، وفد العادل على منزل جانى بك الشامى مسرفا فى الأمل ، بهجا بدنو عودته إلى عرشه . فتبسط له صديقاه فى الحديث . ومدا له الموائد الحافلة ، وضربا له نصف الليل موعدا للهجوم على منزل مصرباى . وبينما هم فى لهوهم وترقبهم إذ دهم المنزل الأمير مصرباى بجنوده .. فأحس العادل بالخيانة وأيقن بالتلف ، ولم يجد حوله من يدفع عنه . فوقف وحده فى الميدان يذود عن نفسه ... ولم يجد بدا من الفرار ، فركن إليه جاهدا إلى أعلى حائط فى المنزل ، وقذف بنفسه إلى خارجه نحو الأرض ، فكسر فخذه . وهناك تلقاه أحد مماليك جانبلاط ، فهوى على رأسه بسيفه فاجتزه ... وعدا عليه جملة من المماليك فأثخنوا فيه بسيوفهم انتقاما منه وشفاء لما فى صدورهم ..

ثم حمل رأس العادل إلى الأمير مصرباى ، فوضعه فى طبق من النحاس ، وسيره إلى الأبواب السلطانية ، وحاملوا المشاعل من حوله ينادون :

« هذا جزاء من يسفك الدماء ويقتل الأبرياء » .

للقصة بقية

محمود رزق سليم

مطبعة الرسالة